وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلى محند أولحاج – البويرة –
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

العنوان

موقف المؤرخين الجزائريين من التواجد العثماني من خلال المصادر المحلية (المواقف المؤيدة) –الشريف الزهار وبن سحنون الراشدي أنموذجا–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص:

تاريخ الجزائر الحديث (1519–1830م)

إعداد الطالب:
✓ شريف عماري

إشراف الدكتور:
✓ هادي مراح

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	المؤسسة الجامعية	الصفة
–/ عطلاوي عبد الرزاق	جامعة أكلى محند أولحاج البويرة	رئيسا
–/ بوتغماس حفيظة	جامعة أكلى محند أولحاج البويرة	مناقشا
–/ هادي مراح	جامعة أكلى محند أولحاج البويرة	مشرفا

السنة الجامعية 2023 – 2024 م

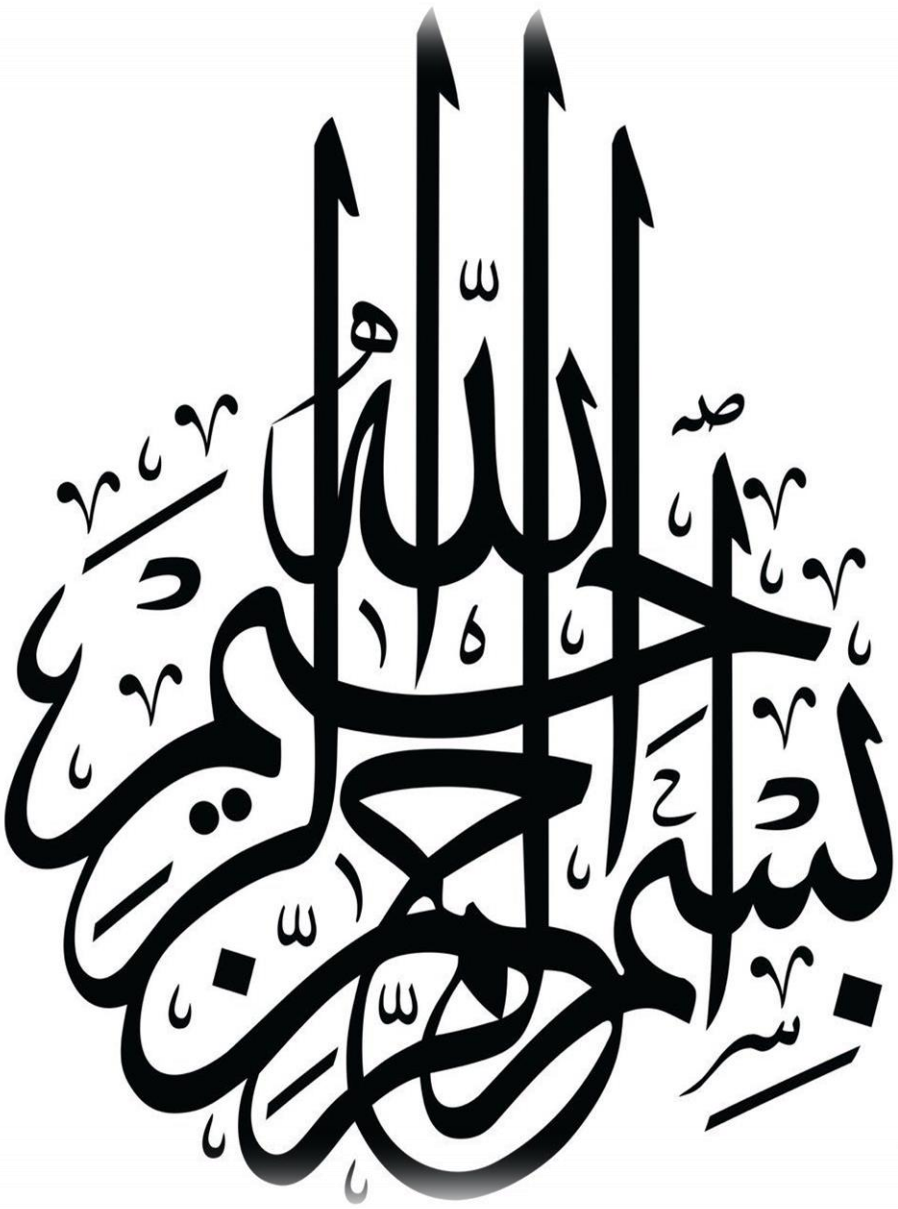
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الأستاذ الدكتور/ هادي مراح

أتقدم إليكم بأسمى آيات الشكر والعرفان على توجيهاتكم السديدة وإرشاداتكم القيمة خلال فترة إعداد مذكرة التخرج. لقد كان لدعمكم وتشجيعكم المستمرين الفضل الكبير في إنجاح هذا العمل وتحقيق الأهداف المنشودة.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (التوبة: 105)

وإني لأشهد الله أنكم كنتم خير سند ومعين في هذا العمل.

جزاكم الله خير الجزاء، وبارك في علمكم وعملكم، ووفقكم لكل خير.

مع خالص التقدير والاحترام،

عماري شريف

إهداء

إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى زوجتي الغالية وأولادي حفظهم الله

إلى كل أفراد عائلتي دون استثناء

إلى من دعمني وساندني في المضي قدما من قريب أو من بعيد

أنتم في القلب

شكرا على صبركم ودعمكم لي

إلى حاملي مشعل العلم والمعرفة

اهدي لكم ثمرة هذا البحث

عماري شريف

قائمة المختصرات:

الأصل	المختصرات
تحقيق	تح
ترجمة	تر
جزء	ج
صفحة	ص
عدد صفحات	ص ص
طبعة	ط
عدد	ع
مجلد	مج
هجري	هـ
ميلادي	م

مقدمة

أحدث ظهور الجزائر إلى الواجهة تحت لواء الخلافة العثمانية جملة من التحولات مسّت جلّ الميادين وبخاصة الميدان العسكري والسياسي، وكان من الطبيعي أن تتخصص العديد من الكتابات في سرد هذه الأحداث والوقائع التاريخية، وقد وجدنا الكثير من المؤرخين الجزائريين قد أرخوا للفترة العثمانية باعتبارها العصر الذهبي في التاريخ الجزائري، نظرا لعوامل متعددة، لعلّ أبرزها الهيمنة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وأنها الفترة التي رسمت معالم الجزائر وشخصيتها الدولية. في هذا الإطار الأخير، نجد أعمالا متعددة، سنأخذ بعضها موضع بحث ودراسة، وهي مذكرات الشريف الزهار، وكتاب ابن سحنون الراشدي "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهران"، إن هذه الأعمال، ليست بحوثا تاريخية بقدر ما هي وثائق تنصف العثمانيين، وتبرز دورهم الإيجابي في الحركية التاريخية للجزائر، كما ترد على الأطروحة الفرنسية الموجّهة والتي تنفي الوجود السياسي والاجتماعي والحضاري للجزائر قبل 1830م، ومن هذا جاء موضوع دراستنا حول: "موقف الجزائريين من التواجد العثمانيين خلال المصادر المحلية – الشريف الزهار وأحمد بن سحنون الراشدي أنموذجا–".

أهمية الموضوع:

يمكن أن نرجع أهمية الموضوع، إلى كونه يساهم في إثراء جدل لا يزال يجد صداه في كتابات المؤرخين والباحثين، حول حقيقة الوجود العثماني في الجزائر، وأيضا لكون كتابات كلّ من أحمد بن سحنون الراشدي وأحمد الشريف الزهار، من الأعمال التاريخية المصدرية القليلة التي أرّخت للوجود العثماني في الجزائر، من خلال تقييد شهادتيهما، حول حدثين بارزين في تاريخها: تحرير وهران، وانتهاء الوجود العثماني في الجزائر.

دواعي اختيار الموضوع:

1. ميول ذاتية لدراسة كل ما يتعلق بتاريخ الجزائر الحديث، خاصة ما يرتبط بالمواضيع التي تهتم بالكتابات المصدرية، ومؤرخي تلك الفترة.

2. جدلية الوجود العثماني في الجزائر، والاختلاف حول تأييده ورفضه، وهذا الموضوع بحاجة إلى دراسة متواصلة، وتراكم معرفي مستمر، باعتبار أن الكثير من المخطوطات والوثائق لا تزال قيد الضياع أو الإهمال.

3. يعتبر كل من أحمد بن سحنون الراشدي وأحمد الشريف الزهار، فاعلين في الأحداث التي دوّنوها، وليس فقط شاهدين عليها أو معاصرين لها.

الإطار المكاني والزماني للدراسة:

تعتبر الجزائر، أو إيالة الجزائر، الإطار المكاني لهذه الدراسة، ومن أخرى يعتبر التاريخ الحديث للجزائر، المحدود بسنة 1519م التاريخ الرسمي لإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وبداية هذا التواجد، إلى غاية سنة 1830م والذي يمثل تاريخ انتهاء الحكم العثماني وبداية مرحلة جديدة مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، الإطار الزماني لهذه الدراسة.

الإشكالية:

نظرا لتباين المواقف في المصادر المحلية حول الوجود العثماني في الجزائر، كيف كان تصوّر كل من أحمد بن سحنون وأحمد الشريف الزهار من هذا الوجود؟

ومن هذه الإشكالية الرئيسية، تتفرع التساؤلات التالية:

1. ما هي الظروف التي مهدت لإلحاق الجزائر بالدولة الدولة العثمانية؟

2. ما هو دور الإخوة بربروس، وما هي طبيعة الاتصالات التي جرت بين الجزائريين والباب العالي من أجل الإلحاق؟

3. فيما تمثلت المواقف المحلية من انضمام الجزائر للحاضرة العثمانية؟

4. من هو أحمد الشريف الزهار، وما هو مضمون مذكراته؟

5. كيف قدّم الزهار تاريخ العثمانيين في الجزائر، وما هي أبرز المجالات التي حظيت بإشادته؟

6. من هي شخصية أحمد بن سحنون، وفيما تمثلت كتاباته؟

7. ما موقع أحمد بن سحنون، لدى الباي محمد الكبير، وما هو دوره في فتح وهران؟

8. ما أبرز المجالات التي مدح من خلالها بن سحنون الباي محمد الكبير؟

الخطة المعتمدة للدراسة:

للإجابة على هذه الإشكالية، والتساؤلات المندرجة ضمنها، وبالاعتماد على كتابات أحمد ابن سحنون وأحمد الشريف الزهار، قسّمنا العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

عالجنا في الفصل الأول المعنون بـ "واقع الجزائر قبيل القرن التواجد العثماني"، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عاشتها الجزائر قبيل مجيء العثمانيين، خاصة الانقسامات السياسية التي كانت موجودة وتقهقر حكم الزيانيين، وتدخلات الحفصيين والمرينيين، كما درسنا الأسباب والدوافع التي أدت بالجزائريين إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس، وفي مقدمتها التحرشات الإسبانية بالسواحل الجزائرية واحتلال العديد من مدنها، ثم تطرقنا للإلحاق وكيف تم الاتصال بالباب العالي، ودور الأخوين بربروس في ذلك، وكيف أصبحت الجزائر إيالة عثمانية من خلال التطرق لأبرز التحولات التي شهدتها البلاد، وفي الأخير درسنا المواقف المحلية إزاء هذا الإلحاق على غرار موقف الزعامات المحلية ومنهم سالم التومي وأحمد بن القاضي، وكذلك درسنا موقف العلماء، والموقف الذي اتخذته الطرق الصوفية من خلال العلاقة التي ربطتهم بالعثمانيين.

في الفصل الثاني والذي جاء بعنوان: "موقف أحمد الشريف الزهار من التواجد العثماني في الجزائر **(1519- 1830م)**"، تطرقنا إلى تعريف هذه الشخصية من خلال ميلاده ونسبه

وتكوينه وكتاباته، ثم عرّفنا بالمؤلَّف، من خلال وصفه وصفا ظاهريا، وتلخيص محتواه، المتمثل في سرد منجزات وفترات حكم مجموعة من الدايات، وكذلك قمنا بالتعريف بالمحقق الأستاذ أحمد توفيق المدني، نظرا للدور الكبير الذي لعبه في بعث هذه المذكرات وتحقيقها، ووضع لمسته فيها، من خلال إزالة الغموض الذي يكتنف بعض المصطلحات العثمانية، وذكر بعض الأحداث التي لم يذكرها المؤلف، كما درسنا دوافع كتابة هذه المذكرات، وفي القسم الثالث من هذا الكتاب درسنا موقف الزهار من الوجود العثماني في الجزائر، وقمنا بسرد موقفه الإيجابي من مجالات محددة هي الجهاد والتعمير والبناء وموقفه من الصلح وكذلك من السلطة العثمانية، وبعض الدايات والبايات.

في الفصل الثالث، الذي كان عنوانه: "موقف أحمد بن سحنون الراشدي من التواجد العثماني في الجزائر **(1519- 1830م)**"، عرّفنا بشخصية ابن سحنون، فدرسنا مولده ونسبه، وظروف تكوينه، وكذلك كتاباته، ثم قدّمنا المؤلَّف من خلال وصفه الخارجي والداخلي، وما تحتويه أقسامه الأربعة، وعرّفنا بالأستاذ المهدي البوعبدلي، الذي عني بتحقيق وتقديم هذا المصدر، وفي القسم الثالث، تناولنا موقف بن سحنون من المجالات: الجهاد، حفظ الأمن ومحاربة الفساد، العلم والعلماء، والبناء والتعمير، وقد ركزنا على دراسة هذه المجالات من خلال منجزات الباي محمد الكبير بشكل خاص، باعتبار بن سحنون كان كاتبا لدى هذا الباي ومقربا منه، حتى أنه شارك معه في تحرير وهران.

الدراسات السابقة:

1. رسالة ماستر للطالبين: يحوي فيصل وعطاالله الصديق، بعنوان: "الوجود العثماني في الجزائر بين جدلية القبول والرفض 1518 ـ 1830م"، نوقشت بجامعة المسيلة، وقد عالج من خلالها الطالبان، المواقف المبدئية التي اتخذها زعماء الإمارات المحلية، وكذلك السلطة الروحية بالجزائر.

2. مذكرة ماستر بعنوان "القوى المحلية وموقفها من الحكم العثماني في الجزائر (1518-1830م)، من إعداد الطالبتين سويدي نادية وبن الشيخ نعيمة، وقد نوقشت بجامعة المسيلة، وهذه الدراسة لم تتطرق لمواقف المؤرخين المعاصرين، وإنما لمواقف أخرى متعددة، على غرار الزعامات المحلية والقبلية، وعلاقتهم بالسلطة العثمانية، والمواقف التي اتخذها العلماء وممثلو الطرق الصوفية من السلطة العثمانية، والعلاقة التي ربطتهم.

3. مذكرة ماستر بعنوان "القوى المحلية وموقفها من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية "آل القاضي وبني عباس أنموذجا" (1510- 1587م)، من إنجاز الطالبتين أمال جعدي وأمينة نجار، وقد نوقشت بجامعة البويرة، والدراسة كما هو موضح في العنوان، تعالج مواقف بعض الزعامات المحلية من الوجود العثماني في الجزائر.

4. مذكرة ماستر بعنوان "الحكم العثماني في الجزائر بين التمجيد والتنديد (دراسة في مواقف بعض المؤرخين)". من إعداد الطالب لوصيف باهي، وقد نوقشت بجامعة البويرة.

المنهج العلمي المتبع:

لمعاجلة هذا الموضوع ومحالة الإلمام بجوانبه، اعتمدنا على المنهج التاريخي، وقد ساعدنا في رصد الوقائع التاريخية، التي صاحبت حدث إلحاق الجزائر والمواقف المحلية منه، وكذلك اعتمدنا على المنهج الاستقرائي، في استنتاج المواقف التي اتخذها كل من أحمد الشرف الزهار وأحمد بن سحنون من الوجود العثماني في الجزائر.

أهم المصادر والمراجع:

بالإضافة إلى المصدرين الأساسيين اللذين قامت عليهما هذه الدراسة، اعتمدنا على مجموعة من المصادر، منها، مذكرات خير الدين بربروس، وهي مصدر لا غنى عنه للباحثين في تاريخ الجزائر الحديث، وخاصة أحداث إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية. وأيضا عدنا إلى

كتاب حمدان خوجة "المرآة" وهو بدوره مصدر هام، حول السياسة العثمانية في الجزائر. وأيضا ساعدنا كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، في فهم بعض أحداث التي أعقبت انضمام الجزائر للدولة العثمانية، والحركات المعارضة التي ظهرت.

وبخصوص بعض المراجع، عدنا لمرجع هام بعنوان "نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر" للأستاذ محمد شاطو، تطرق فيه لموقفي كل من ابن سحنون والزهار من الوجود العثماني، كما أفادتنا كتب الأستاذين أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني، في التعرف على الشخصيتين موضوع الدراسة، وبعض الرسائل والأطاريح الأكاديمية، بالإضافة إلى بعض المقالات العملية المتصلة بموضوع الدراسة.

الصعوبات:

من الطبيعي أن يصاحب أي بحث تاريخي وعلمي بعض الصعوبات، فمن جهتنا اصطدمنا بضيق الوقت المكلّف لهذا البحث، مما حال دون إلمامنا بكافة الجزئيات، بالإضافة إلى محدودية المعلومات وتشابهها في المراجع، فيما يتعلق بالتعريف بشخصيتي أحمد ابن سحنون وأحمد الشريف الزهار.

الفصل الأول:

واقع الجزائر قبيل التواجد العثماني

1- أوضاع الجزائر قبيل الوجود العثماني

1-1- الأوضاع السياسية والعسكرية.

1-2- الأوضاع الاقتصادية.

1-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية.

2- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

2-1- الدوافع والأسباب.

2-2- إلحاق الجزائر بالباب العالي.

2-3- الجزائر إيالة عثمانية.

3- موقف الجزائريين من الوجود العثماني بالجزائر.

3-1- موقف السكان.

3-2- موقف الزعامات المحلية. (نماذج)

3-3- مواقف مختلفة.

أ- العلماء

عاشت الجزائر خلال العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي تحولا كبيرا، فقد أعقب الصراع العثماني–الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إلحاق الجزائر كإيالة تابعة رسميا للباب العالي باسم (دار السلطان)، وهكذا أصبحت قاعدة أمامية للأسطول في مواجهة خطر القوة البحرية الإسبانية والقوى البحريّة الأوروبية، وظلت على هذه الوضعية على مدار أزيد من ثلاثة قرون، وهذا بعدما تكفل خير الدين بربروس بإكمال عمل أخيه عروج المتمثل في التصدي للزيانيين، ودفع الهجومات الإسبانية وتحرير المدن والسواحل الجزائرية، والاتصال بالخليفة العثماني الذي كان قد أعطى لكل المسلمين، الشجاعة في التحرر من السيطرة المسيحية.

1- أوضاع الجزائر قبيل الوجود العثماني

1-1- الأوضاع السياسية والعسكرية

شهدت الفترة السابقة، لتواجد العثمانيين بالجزائر، انقساما سياسيا خطيرا، حيث أصبحت البلاد منقسمة إلى خمسة عشر جزءًا، الكل تهيمن عليه قبيلة عربية أو بربرية، كانت تتمتع بشبه استقلال في إقطاعاتها، وكلما أحست بضعف الملوك إلا وبالغت في تمردها وتحديها ومطالبها[1]، وقد بلغ الانقسام درجة ظهور إمارات كانت تختفي سريعا لتفسح المجال لأخرى، وهذا كان تبعا للوضع الذي كانت تتخبط فيه الدولة الزيانية، وتهاون سلاطينها في الاهتمام بأمور البلاد، حيث حاول بعض الزيانيين الاستنجاد بالإسبان، والتحالف معهم ضد أبناء عمومتهم، على غرار يحي الثابتي الذي اتصل بالإسبان أثناء ثورته ضد أبي حمو موسى الثالث سنة 912 هـ/ 1506 م، حيث طلب من الإسبان السير نحو تلمسان والاستيلاء عليها، وكان هذا الأمر قد رفع الأعباء الضريبية على أمراء بني زيان، حيث فرض عليهم الإسبان إتاوة قدرت بـ 12 ألف دوقة و12 فرسا و6 بزات[2].

وكان هذا الوضع المتردي، قد شجع الحفصيين بتونس، على الاستيلاء على بجاية وقسنطينة وقسم كبير من الشرق، في سيطرة شكلية، بينما حاول المرينيون، الاستفادة من هذا الوضع في النواحي الغربية، والتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية، وبخصوص الجهات الشمالية والمناطق الداخلية فقد كانت تحت حكم بعض الأسر والمشيخات، على غرار مدينة

---

1 المهدي البوعبدلي، **أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، مجلة الأصالة، ع 8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ص 276.

2 طاهر تومي، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، مذكرة شهادة الماجستير، إشراف الدكتور عبد القادر صحراوي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، 2014 – 2015، ص 11.

الجزائر التي كان يحكمها سالم التومي[1] وقبيلة الثعالبة، وتوقرت التي كانت تحت حكم أسرة بني جلاب، ورقلة التي كانت تحكمها أسرة علاهم، أما في المناطق الجبلية فهي الأخرى كانت عبارة عن إمارات على رأسها مرابط أو شريف، وفي هذا نجد إمارة كوكو التي كان على رأسها أحمد بن القاضي، وأيضا إمارة بني عباس التي يحكمها الأمير عبد العزيز، وفي الجنوب نجد إمارة بوعكاز التي كانت تسيطر على منطقة الزيبان والحضنة وبعض الجهات الصحراوية الشرقية، أما في الحدود الغربية، ومنطقة فقيق فهناك كانت إمارة بني يزناسن[2].

ومن خلال هذا المشهد السياسي، نستطيع تمييز الملاحظات التالية:

- ✓ ليس هناك دولة مركزية موحدة، قوية ومعترف بها بالمغرب العربي.
- ✓ غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين وتحقيق المشاريع التوسعية.
- ✓ بروز البحارة الشرقيين والموريسكيين–الأندلسيين الذين اعتبروا قوى بحرية جديدة في الفضاء الجيوسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر، وهو الأمر الذي مكنهم من مجابهة ومحاربة إسبانيا ومد يد المساعدة للموريسكيين داخل التراب الأندلسي[3].

1–2– الأوضاع الاقتصادية:

أدى عدم استقرار الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط، إلى الانهيار الكلي في اقتصاد البلاد، وبسبب تزايد الأخطار الداخلية والخارجية، غادر الكثير من الفلاحين أراضيهم، وبذلك

1**سالم تومي:** من قبيلة الثعالبة، استولى على مدينة الجزائر، عندما احتل الإسبان مدينة بجاية 1510، واستقر فيها عدة سنوات، إلى أن أتى الإخوة بربروس، فقتلوه. ينظر إلى: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة محد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983، ص 39.

2 طاهر تومي، المرجع السابق، ص ص 11، 12.

3 حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، ط 1، الجزائر، 2008، ص 125.

أهملوا أراضيهم، فيما فضل البعض الآخر تربية المواشي والابتعاد قدر الإمكان عن المناطق التي تكثر فيها النزاعات، والفرار نحو المناطق الصحراوية أو المناطق الجبلية، وهذا ما أدى إلى تدهور أوضاع الفلاحة والفلاحين، إذ آلت وضعية بعضهم إلى الفقر والبؤس. وبخصوص الصناعة فلم تعرف بلاد المغرب الأوسط صناعة حقيقية بالمفهوم الشائع آنذاك، وكل ما كان موجودا بعض الحرف المنتشرة في بعض الأماكن من البلاد مثل حرفة صناعة النسيج، الزرابي، الأقمشة، بالإضافة إلى الحرف الخاصة بتلبية بعض الحاجيات مثل صناعة سروج الخيل، سكك المحاريث، المناجم، الفؤوس، الخناجر، والأواني الفخارية، كما كان يتم تصنيع الفحم من أشجار الخروب[1].

1-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

كانت البنية الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط قبل التواجد الأندلسي والعثماني تضمّ عنصرين رئيسيين هما: العرب والأمازيغ اللذين جمعت بينهما رابطة الدين الإسلامي، وإتباع نفس المذهب الفقهي وهو المذهب المالكي، وقد كان نمط المعيشة الغالب هو النمط البدوي، باعتبار أن غالبية السكان يعيشون في الأرياف، ويحترفون تربية المواشي والزراعة، والترحال بحثا عن الأمن والكلأ والماء، وكان يسود بينهم نظام القبيلة والعشيرة، أما المدن الكبرى أو الحواضر فقد كان بغلب عليها نمط الاستقرار والتحضر، خاصة بعد الهجرات الأندلسية إلى مدن المغرب الأوسط بعد سقوط إماراتهم في يد الإسبان أواخر القرن الخامس عشر ميلادي[2].

ونتيجة لذلك وفد إلى المدن الساحلية بالمغرب الأوسط أعداد كبيرة من الأندلسيين الذين استطاعوا التأثير في بنية المجتمع وازدهار الحياة المدنية فيه، نتيجة للتفاعل الذي حدث بين مكونات المجتمع والوافدين الجدد، والذين كانت لهم نشاطات سياسية واقتصادية وثقافية، وبذلك

1 طاهر تومي، المرجع السابق، ص 14.

2 المرجع نفسه، ص 14.

استطاعوا ربط المجتمع العربي الأمازيغي البربري بالمجتمع الأندلسي الحامل بين طياته الفكر الأوروبي، أي بمعنى آخر، ربط مجتمع المغرب الأوسط ذو الطابع المشرقي بالمجتمع الأندلسي ذو الطابع الغربي، ولذلك تأثرت الكثير من المدن الساحلية بهؤلاء الوافدين خاصة من شرشال، تنس، مستغانم، مدينة الجزائر، دلس، بجابة وعنابة[1].

بالإضافة إلى هذه المجموعات السكانية الثلاث كان يعيش بالمغرب الأوسط بعض الفئات السكانية الأخرى مثل اليهود، الذين كان يحتقرهم السكان المحليون، والسودانيون وبعض الأجناس الأخرى التي لم يكن لها تأثير بارز في ذلك الوقت[2].

ومن جهة أخرى، اتسمت الأوضاع الثقافية قبيل القرن السادس عشر في الجزائر وكافة الأقطار الإسلامية، بتركز العلوم الدينية من تفسير، وحديث وفقه، وعقائد، وامتازت الجزائر أنه بالإضافة إلى الثقافة المذكورة، كانت تشهد انتشار الطرق الصوفية غربي البلاد وشرقها، وكان جلّ المنخرطين في هذه الطرق من حفظة القرآن وممن لهم مبادئ فقهية وعقائدية، كانت تميزهم عن العوام في سلوكهم الشخصي. كان في طليعة المثقفين بالبلاد الفقهاء الذين كانوا يتمتعون بالقيادة الروحية، ويشاركهم فيها مشايخ الطرق، ومقدموها، وبطبيعة الحال لم يكن بينهما وفاق، وقد كان المذهب الفقهي السائد ببلاد المغرب هو المذهب المالكي، ورغم استيلاء العثمانيين على الجزائر، احتفظت البلاد بنخبة فقهائها المالكيين، رغم أن مذهب الدولة العثمانية الرسمي هو المذهب الحنفي[3].

1 طاهر تومي، المرجع السابق، ص 14.

2 المرجع نفسه، ص 14.

3 ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 137.

2- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

2-1- الدوافع والأسباب.

أدى اقتراب نهاية الدولة الزيانية، إلى الدخول الإسباني العسكري إلى الجزائر، والتلاعب بأقدارها ومصيرها، ومحاولة الإحاطة بها من كل جانب تمهيدا لاحتوائها، كما برزت قوة العثمانيين كطرف رابع في الصراع عليها إلى جانب بني حفص وبني مرين والإسبان[1].

كان الإسبان بعد أن قضوا على الحكم الإسلامي بالأندلس عام 1492م، قد وجهوا نشاطهم لغزو بلدان المغرب العربي، مبالغة في النكاية بالمسلمين، ومنع اللاجئين الأندلسيين من التفكير في العودة إلى وطنهم المسلوب، ومحاولة منهم أيضا للاستيلاء على بلدان المغرب، من أجل استغلال إمكانياتهم الاقتصادية وموانئه الاستراتيجية من الناحية العسكرية، وقد واتتهم الفرص بسبب ضعف هذه البلدان، وصراعها فيما بينها من جهة، وفيما بين الأمراء الطموحين من جهة أخرى. وكانت الدولة الزيانية قد وصلت في هذه الفترة إلى أقصى درجة من الضعف والانحلال، فأخذ الإسبان يحتلون موانيها وأطرافها تمهيدا لاحتوائها في النهاية وفق مخطط استعماري مدروس. فبعد أن وصل إلى تلمسان آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل عبر وهران بدأت التهديدات الإسبانية تظهر في الأفق ضد تلمسان، واضطر الأمير الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى إسبانيا ليطمئن فيرناند الخامس، ويقدم له الهدايا استرضاءً له. وابتداءً من عام 1503م أصبح الخطر الإسباني على الجزائر حقيقة واقعة، فقد تنافس على عرش تلمسان الأخوان: أبو زيان الثالث المسعود، وأبو حمو الثالث بوقلمون، وتغلب الثاني على الأول وأدخله السجن فاغتنم الإسبان فرصة هذه الاضطرابات بتلمسان وأقدموا على احتلال المرسى الكبير عام 1505م، وأيدوا الأمير يحي الثابتي شقيق السلطان

1 يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيطة)**، ط 2، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 233.

أبي حمو الثالث على الاستقلال بمدينة تنس وأحوازها عام 1506م[1].

كان سقوط المرسى الكبير، بداية لهزائم أخرى، حيث اتخذه الإسبان قاعدة عسكرية لتحركاتهم المستقبلية، وكانت وهران نظرا لقربها من المرسى، الهدف الأول للتحركات الإسبانية، ففي 1509م، وصل الأسطول الإسباني إلى المرسى الكبير، وباغت سكان المدينة، الذين قاوموا ببسالة، واستشهد منهم أكثر من 4000 مجاهد، ولكن مفاجأة الأسطول الإسباني وقوته، جعلت المدينة تسقط بعد خمسة أيام فقط من المقاومة. وأعقب هذا الاعتداء، احتلال بجاية سنة 1510م، وكانت هي الأخرى تعجّ بالفتن والصراعات، التي انتهت بسجن حاكم المدينة عبد الله بعد أن أفقده عبد الرحمن الحفصي عينه، وشن الإسبان حملتهم العسكرية، التي كانت تضم 10.000 جندي مدعمين بمدفعية وذخيرة حربية بقيادة بيدرونافارو، ولم مقاومة السكان الحيلولة دون نزول هذه القوات إلى البر، ودارت معارك بين الطرفين، انتهت بسقوط المدينة، واستشهاد ما يقارب 550 شهيدا[2]، واستيلاء الإسبان على ما فيها من تحف ونفائس، نقلوها في ثلاثين مركبا، غرق أكثرها في الطريق، كما هدموا منارة قصر اللؤلؤ البالغ طولها سبعين ذراعا، والذي يعتبر من أعظم المنجزات المعمارية في الجزائر[3]، وتوالت الهزائم باستسلام مدينة شرشال للإسبان سنة 1511م، بسبب الحروب المستمرة بين ملوك بني زيان والحفصيين بتونس، وكانت المدينة إلى وقت قريب فارغة من السكان، ولذلك قصدها أهل غرناطة وأعادوا بناءها، وترميم بعض معالمها، ولكن لحقتها الضغوط الإسبانية، وتفاديا لوقوع المزيد من الأحداث المأساوية، سارع شيخها إلى عقد معاهدة استسلام مع الإسبان في شهر ماي من عام 1511م. كانت

1 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 233، 234.

2 خديجة دوبالي، **الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية (911-917 هـ/ 1505-1511م)**، مجلة القرطاس، جامعة تلمسان، ع 6، الجزائر، ، 2017، ص 29.

3 محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، المكتبة الجامعية المركزية، ط 1، الجزائر، 1969، ص 20.

المعاهدة تنص على الاعتراف بالسلطة الإسبانية على المدينة، ودفع إتاوة سنوية للعرش الإسباني[1].

أعقب استسلام شرشال، سقوط مستغانم سنة 1511م، حيث كانت هذه المدينة بالنسبة للإسبان أحد النقاط الاستراتيجية في الساحل الجزائري، ناهيك عن قربها من وهران، وقد كان لهم ذلك حيث أمضى شيوخ مدينة مستغانم على معاهدة استسلام في 26 ماي من عام 1511م، التزم سكان مستغانم بموجب هذه المعاهدة، بـ:

- ✓ خضوعهم التام للسلطات الإسبانية، وتفادي الدخول في أي حلف قد يشكل خطرا على الوجود الإسباني في المنطقة.
- ✓ إعلام السلطات الإسبانية المتواجدة في مدينة وهران بأي تحركات مشبوهة.
- ✓ دفع المقدار نفسه من الضرائب التي كان يدفعها السكان إلى السلطات الزيانية.
- ✓ إطلاق سراح الأسرى الإسبان المتواجدون في المدينة دون قيد أو شرط.
- ✓ تزويد الحامية الإسبانية المتواجدة على مستوى مدينة وهران بكل ما تحتاجه من مواد غذائية بسعرها الحقيقي.

وبموجب هذه الاتفاقية دخلت مستغانم في قائمة المدن التي سقطت في يد الإسبان طواعية ودون استعمال القوة العسكرية[2].

أعقب هذه الاعتداءات، زوال السيادة الشكلية للدولة الزيانية، فكثرة الفتن التي عصفت بالبيت الزياني، واستنجاد بعض الحكام الزيانيين بالقوات الإسبانية لتمكينهم من العرش الزياني، كما أن افتقارهم لقاعدة شعبية مكن السلطات الإسبانية من فرض منطقها عليهم، هذا الأخير رمى إلى إخضاع تلمسان رسميا، وذلك بالإمضاء على معاهدة استسلام في 20 جوان من عام

1 خديجة دوبالي، المرجع السابق، ص 29.
2 المرجع نفسه، ص 32.

1511م، ضمت الشروط نفسها التي فرضت على باقي المدن المستسلمة[1].

ويمكن إضافة سبب آخر لانضمام الجزائر للحاضرة العثمانية، وهي إدراك خير الدين لمحدودية قدراته العسكرية بالمقارنة مع الإمكانيات الهائلة التي يملكها الإسبان، والتي جعلت منهم دولة قادرة على خوض العديد من الحروب في إسبانيا وشمال إفريقيا ضد المسلمين، وفي أوروبا ضد البروتستانت، وضد ملك فرنسا منافس شرلكان على زعامة أوروبا، فضلا عن تقديم مختلف أشكال الدعم للنمسا لكي تتمكن من التصدي لحملات العثمانيين في شرق أوروبا. وبالتالي كانت معرفة خير الدين لموازين القوى في الصراع الإسلامي–المسيحي جعلته يرجح ضد جهده إلى أقوى دولة إسلامية في ذلك العصر، أي الدولة العثمانية، فهي وحدها التي كانت مؤهلة لقبول ضد الجزائر إلى ممتلكاتها، وبالتالي: حمايتها بدعمها بالمال والعتاد والرجال عندما يقتضي الأمر ذلك[2].

يمكن أن نضيف إلى أسباب إلحاق الجزائر إلى الدولة العثمانية، هو تخوف خير الدين من الزعماء المحليين، من أمراء وشيوخ قبائل وأعيان مدن، هؤلاء كان لديهم استعداد للتمرد، كما كانت لديهم القدرة على تهييج السكان، سواء بالترغيب أو بالترهيب، والأكثر من هذا، كانت لديهم قابلية للتعاون من الإسبان، حتى ولو كان ذلك منافيا لمصلحة العقيدة والوطن، وعلى هذا الأساس كان تأسيس إيالة عثمانية، بمثابة صمّام أمان في وجه أي حركة أو تمرد، يمكن أن يقوم بها الزعماء المحليون، خلال التصدي للاعتداءات الخارجية[3].

وكدافع أخير، نستطيع استحضار حقيقة عدم وجود قوة إقليمية في منطقة الصراع (المغرب الإسلامي) يمكن التحالف معها، أو الانضمام إليها لمواجهة الخطر المسيحي،

1خديجة دوبالي، المرجع السابق، ص 35.

2 محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 – 1543)**، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 233.

3 المرجع نفسه، ص 234.

فالمغرب الأقصى كان يعيش في صراعات داخلية، وتونس رغم أنها كانت تعيش استقرارا نسبيا في الحكم، إلا أن سلطانها كان بلغ درجة كبيرة من الضعف، حيث لم يكن يستطيع فرض سلطته حتى داخل إقليمه، فضلا على أن يكون قادرا على حماية الجزائر، فقد تمكن الإسبان من احتلال بجابة وعنابة ودلس ومدينة الجزائر، وهي كلها كانت ضمن نطاق حكم الدولة الحفصية، ورغم ذلك لم يقم السلطان الحفصي بأي محاولة للدفاع عنها وتحريرها، كما تخاذل في مساعدة الإخوة بربروس، بل تعاون مع الإسبان أثناء حملتهم على تونس سنة 1534م، وحرّض الزعماء المحليين في الجزائر للثورة على خير الدين[1].

2-2- إلحاق الجزائر بالباب العالي.

لم يكن تأسيس إيالة الجزائر بقرار مفاجئ، نتيجة لوفد بُعث إلى الباب العالي، لاستصدار قرار سلطاني يقضي بضم الجزائر إلى الدولة العثمانية وتعيين خير الدين بربروس، واليا عاما عليها برتبة بايلر باي، بل إن هذا الإلحاق تم عبر مراحل زمنية طويلة نوعا ما، وقد ميّز الباحثون إجراءين أو وفدين أرسلا لأجل هذا الأمر، والأول كان سفارة بيري رئيس إلى إسطنبول بين 1514 – 1516م، أي أن هذا كان قبل خروج السلطان سليم لغزو مصر والقضاء على دولة المماليك، وبيري رايس هو بحار وجغرافي تركي، وقد احتفى السلطان بهذا الوفد، وكافئ الأخوين بربروس، بسفينتين تحملان مختلف المعدات العسكرية، بالإضافة إلى سيفين وخلعتني سلطانيتين ونيشانين ملكيين، وهذه الإجراءات، سهلت مهمة الأخوين بربروس، فقد دخلا بشكل رسمي في خدمة الدولة العثمانية، وحمتهما من تحرشات الحفصيين، وكان سكان بجاية خلال وجود الوفد في إسطنبول، قد اتصلوا بالإخوة بربروس برسالة حملها وفد من أعيان المدينة إلى تونس، وقد طلبوا في الرسالة تحرير مدينتهم من الإسبان، ومن ضمن ما جاء في الرسالة: "إن كن ثمة مغيث بعد الله فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا

1 محمد دراج، المرجع السابق، ص 235.

نستطيع أداء الصلاة أوتعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرينا بين أيديكم، جعلهم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار"[1]. واستجابة لذلك، جهز الإخوة بربروس حملة لفتح بجاية، غير أنها لم تكلل بالنجاح نظرا لنفاد البارود، ورفض السلطان الحفصي تقديم المساعدة لهما، خوفا من انتصارهما على الإسبان وتعاظم نفوذهما، مما يشكل خطرا على عرشه[2].

تعتبر سفارة مصلح الدين قوردأوغلو رئيس إلى الإسكندرية في حدود سنة 1516م، ثاني وفد أرسل إلى السلطان سليم الأول، الذي كان بالقاهرة، وقد ذكر خير الدين بربروس في مذكراته بأن السلطان احتفى بالوفد، وأمده بعدد كبيرة من الجنود، والمعدات العسكرية، وهذا ما عاد به مصلح الدين قوردأوغلو إلى الجزائر. وبخصوص السفارة الأخيرة إلى إسطنبول هي سفارة الحاج حسين آغا في حدود سنة 1519 م، وكان هذا الاتصال قد جاء بعد مقتل عروج في تلمسان، ومبايعة أهل مدينة الجزائر لخير الدين سلطانا عليهم، حيث صرّح لأعيان المدينة بأنه لا يقوى على صدّ الإسبان، ومجابهة المؤامرات والدسائس التي كان ورائها الزعماء المحليون، والتي فقد جراءها أخويه عروج وإسحاق، واقترح على الأعيان أن يعرضوا تبعيتهم على السلطان العثماني، فيدخلون تحت حماية الدولة العثمانية[3].

وقد تحدث محمد بن ورقة التلمساني في مخطوط "الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة"، عن هذا الإلحاق حيث ذكر أن خير الدين عزم على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغزو والمواصلة إلى الجهاد، وجمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء، وأطلعهم

---

1 محمد دراج، **تأسيس إيالة الجزائر**، مجلة عصور، مج 9، ع 1، جامعة وهران1، الجزائر، 2010، ص 26.

2 المرجع نفسه، ص 27.

3 Muhammad ibn Muhammad Al-Tilimsani, **Chroniques de la régence d'Algertraduites d'un manuscritarabeintitulé El-Zohrat-el-nayerat**, traduction Alphonse Rousseau, imprimerie du gouvernement, Alger, 1841, p 88.

على نواياه، وأشار عليهم بالاتصال بالسلطان سليم الأول، وطلب مساعدته، "[1]. فرضى أهل المدينة بذلك وصوبوا رأيهم فأمرهم أن يكتبوا على لسانهم كتابا إليه يخبرونهم بصرف طاعتهم إلي. وكتب هو أيضا كتابا يتضمن مفهوم كتابهم، وعين أربعة أجفان للسفر إلى حضرة السلطان، وقدم عليهم رجلا اسمه الحاج حسين ووجه معه هدية عظيمة. فوصلت الأجفان إلى حضرة السلطان سليم، ونزلوا بتلك الهدية إلى الوزير الأعظم، فأعلم السلطان بقدومهم وأوصلوا إليه الهدية التي قدموا بها، فقبلها السلطان وأمر بإنزالهم في دار الضيافة وأجرى عليهم النفقة، ووجه صحبتهم سنجقا وكتابا إلى أهل الجزائر يقول ما كتبوا إليه، وأنهم ممن تشملهم عنايته وتحرسهم رعايته، فلما وصل الحاج حسين الوزير بكتاب السلطان سليم إلى الجزائر، استقر خير الدين أميرا بالجزائر من قبل السلطان الأعظم سليم خان، وصرف دعوتها إليه وأمر بذكره على منابرها وضرب السكة عليه[2].وقد استقبل خير الدين عودة حسين آغا بكثير من الحماس، حيث قبّل هدايا السلطان وتقلّد السيف، وارتدى الخلعة السلطانية بكل تعظيم وتبجيل، وبدأ في التفكير في كيفية مجابهة الإسبان باعتبارهم ألدّ أعداءه[3].

وكرد فعل، على انتصار خير الدين بربروس في الجزائر، تحركت القوى الأوروبية، وشكلت جيشا كبيرا، واتجهت به إلى الجزائر، ودخل معها خير الدين في مواجهة كبرى، انتهت بانتصار العثمانيين على الأوروبيين، وانهزم ملك إسبانيا كارلوس، وقد شكل هذا الانتصار مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر، التي تحولت بعد ذلك إلى إيالة عثمانية، وتطبق فيها القوانين العثمانية، وأصبحت الخطب في المساجد تقرأ باسم السلطان العثماني، كما أصبحت النقود تضرب باسم السلطان أيضا، وانتقلت الجزائر منذ ذلك التاريخ إلى مرحلة جديدة، تشكل فيها

1جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 – 1830م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 51.

2 المرجع نفسه، ص ص 51، 52.

3 خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، دار طليطلة، الجزائر، 2015، ص 108.

مفهوم جديد للدولة، وأصبحت لها حدودها الخاصة، لتصبح أول إيالة عثمانية في منطقة شمال إفريقيا، وقد هذا الصدد يقول خير الدين في مذكراته، موجها كلامه إلى أهالي الجزائر: "إن السلطان سليم خان هو خليفة رسول الله عليه السلام، فكيف يتسنى لكم أن تتركوا خليفة المسلمين، وسلطان العالم وتقرؤون الخطبة وتضربون السكة باسم سلطان المغرب؟ إن مستقبلكم ومستقبل بلادكم مرهون بضرب السكة باسم السلطان المعظم، والويل لكم إن خالفتم وعصيتهم..."، لقد عكس هذا الخطاب السيطرة الكلية للعثمانيين على الجزائر، وصرامة خير الدين بربروس في التعامل مع من يحاول الخروج عن سلطان الدولة العثمانية، وعقب هذه الأحداث بدأ خير الدين في ترسيخ أركان الإيالة الجزائرية الجديدة وتمتين أسسها، والاهتمام بقضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكلذ علاقاتها الدبلوماسية مع جيرانها في تونس والمغرب ومحيطها في منطقة البحر المتوسط[1].

2-3- الجزائر إيالة عثمانية:

استطاع العثمانيون من إنشاء هيكل من الحكم يتكون من الباشا والدواوين والبايات والقياد والوحدات القبلية[2]، وقد مكنت قوة شخصية البايلربايات من السيطرة على القوتين العسكريتين البرية والبحرية، وتسيير شؤون البلاد بمفردهم دون الأخذ برأي الديوان، ويرجع الفضل لهؤلاء الحكام في تأسيس أول نواة للبحرية الجزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط ما يقرب من ثلاثة قرون، واسترجاع عدة مدن جزائرية من الإسبان، مثل صخرة البنيون في عام 1529م وبجاية في عام 1555م، والتصدي للغارات المتتالية التي كان يشنها الإسبان على السواحل

1 متين شريف أوغلو، **أبعاد وخلفيات الدخول العثماني إلى الجزائر في بداية القرن 16م على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (دراسة أرشيفية تحليلية)**، مجلة الدراسات الشرقية، ع 41، القاهرة، مصر، 2022، ص 259.

2 أحمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993، ص ص 10، 11.

الجزائرية، ومن أشهر تلك الغارات، غارة ملك إسبانيا "شرلكان" عام 1541م، وقد كانت الجزائر في تلك الفترة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة العثمانية، وذلك نتيجة الخطر الإسباني الذي كان يهدد العالم الإسلامي بأسره[1].

ولعل من أبرز التحولات، هي توحيد رقعة البلاد، حيث استطاع العثمانيون أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للجزائر، التي امتد نفوذها وسيطرتها إلى كل الجهات شرقا وغربا وجنوبا، والقضاء على كل الإمارات المحلية: إمارة تلمسان، الإمارات الحفصية في قلعة بني عباس، قسنطينة وعنابة، وإمارة جبل كوكو بالقبائل، ويعد "صالح رايس" المحقق لهذه الوحدة، لاجتهاده في مد نفوذ الأتراك إلى واحات الجنوب وقضاءه على الدولة الزيانية بتلمسان وقام بفرض طاعة سلطة الجزائر على كل المناطق.

و فيما يخص تنظيم البلاد اداريا فقد كان لجهود صالح رايس أثر في ذلك بعد أن امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم المناطق الشرقية والغربية والجنوبية للجزائر، حيث اهتم البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين في ولايته الثانية بتنظيم إدارتها، إذ قسمها إلى أربعة بايلكات (عمالات):

- ✓ بايلك الجزائر ومركزها مدينة الجزائر (دار السلطان).
- ✓ بايلك الشرق ومركزها مدينة قسنطينة.
- ✓ بايلك التيطري ومركزها مدينة المدية.
- ✓ بايلك الغرب ومركزها مدينة مازونة ثم معسكر ثم وهران.

أما على المستوى الاقتصادي والعمراني، فقد اهتم العثمانيون بتشييد المساجد وسخروا

1 أرزقي شويتام، **طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 – 1830م)**، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 04، ع 01، جامعة بجاية، الجزائر، 2022، ص، 105.

الأوقاف الطائلة على مشاريع البر والإحسان، وشهدت مدينة الجزائر العاصمة خاصة حركة عمرانية كبيرة، بالإضافة إلى بناء الحصون، المدارس، القصور، حمامات، مستشفيات، وقلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة إلى الوقت الحالي[1].

ومن الناحية الاقتصادية امتازت البلاد بغناها الاقتصادي الكبير مصدره الثروات الزراعية والحيوانية، وما يأتيها من أموال الزكاة على الماشية والحبوب والزيتون وأنواع المدخولات الأخرى من رسوم وضريبة الصادرات وخمس غنائم البحر التي كان يغنمها الرياس وأموال الجزية التي كانت مفروضة على الدول الأوروبية، وعلى المستوى الصناعي فقد عرفت الصناعة تطورا كبيرا مثل: صناعة النسيج، البرانس، الزرابي، والحياك، كما كانت تصدر كميات وفيرة من الحبوب والبضائع: الصوف، الجلود، الشمع والنسيج إلى الخارج.

1 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 266.

3- موقف الجزائريين من الوجود العثماني بالجزائر:

3-1- موقف السكان:

في البداية كان سكان بجاية وجيجل، وراء الاستنجاد بالإخوة بربروس، ثم جاء طلب الإلحاق والدخول تحت حماية الدولة العثمانية، من طرف سكان الجزائر، لكن رغم ذلك نجد بأن العثمانيين واجهوا تمردا قام به أهالي الجزائر، وقد كان هذا التمرد نتيجة دعاية مضادة للوجود العثماني، قام بها أتباع ابن القاضي من أعيان المدينة الذين كان يمثل لهم وجود خير الدين، خطرا على مصالهم الذاتية، وقد حاول هذا الأخير تدارك الأمر بطريقة سلمية، مستعينا في ذلك بالعلماء، غير أن الزعماء رفضوا هذه الوساطة وأصروا على تمردهم، فأصدر العلماء فتوى تقضي بوجوب القضاء على رؤوس الفتنة وتحريم التعاون معهم، فقام خير الدين بتفريق السكان الثائرين، واعتقال زعماء الثورة وإعدامهم، وهكذا حلّ السكون بمدينة الجزائر[1].

3-2- موقف الزعامات المحلية (نماذج):

كان سالم التومي على رأس السلطة في الجزائر، وقد كان هو الذي طلب العون من الإخوة بربروس، ولكن سرعان ما انقلب على الأتراك، واتفق مع الإسبان، ولكن عندما علم عروج بهذه الخيانة ألقى القبض على التومي، ومن معه من الأعيان المحرّضين على التمرد، وبخصوص الأعيان فقد أمر بقتلهم، أما سالم التومي فقد علقه على باب عزون وتركه عدة أيام، وبعد هذه الأحداث أعلن عروج حكمه على البلاد بشكل رسمي[2].

وأيضا أحد التمردات التي واجهها العثمانيون، هو تمرد أحمد بن القاضي، وهو أحد

---

1 محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر** ...، المرجع السابق، ص 255.

2 بلقاسم صديقي وتوفيق دحماني، **الزعامات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي نموذجا)**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 22، ع 1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2022، ص182.

الأعيان الذين اتخذوا موقفا سلبيا من الوجود العثماني، وهذا الرجل وولى إمارة كوكو بعد وفاة أبيه الذي كان مواليا للعثمانيين، وقد استغل السلطان الحفصي وصول الابن إلى السلطة، وراسل ابن القاضي لتحريضه على الثورة ضد العثمانيين، متعهدا بدعمه وجعله سلطانا على الجزائر، وبالفعل تصادم ابن القاضي مع خير الدين، وجرت بين الطرفين معركة كبيرة، انهم فيها خير الدين، بينما استطاع ابن القاضي الاستيلاء على النواحي الشرقية، وعمل على إثارة سكان الجبال، وبعض أعيان مدينة الجزائر، وانتشر التمرد في سائر المناطق التي كانت تحت حكم خير الدين، هذا الأخير لجأ إلى جيجل، ومكث بها ثلاث سنوات، متنقلا بينها وبين جزيرة جربة، واستطاع مساعدة الأندلسيين الفارّين، من الوصول إلى الجزائر، بينما فشل ابن القاضي في تأسيس حكم عادل في الجزائر، حيث تسلط على السكان، هؤلاء ثاروا ضده واستنجدوا من جديد بخير الدين، الذي تواجه مع ابن القاضي وهزمه، واستطاع بعض أتباع ابن القاضي النيل منه، وتقديم رأسه لخير الدين، معتذرين عن تمردهم، وهكذا أخمدت ثورة ابن القاضي التي كادت أن تعصف بالوجود العثماني[1].

وبخصوص زعيم قلعة بني عباس، فقد حاول العثمانيون في البداية التقرب من سلطانهم عبد العزيز، وطلبوا منه مساعدتهم في تحرير بجاية من الإسبان، وقد استجاب السلطان لهذا الطلب، كما استعانوا به مجددا في طرد قبائل كوكو، والقضاء على تمرد ابن القاضي، ، وقد استمرت علاقة التعاون بين الطرفين إلى غاية مغادرة خير الدين، وقد حاول خلفائه المحافظة على هذه العلاقة، لكن فيما بعد حاول العثمانيون الحدّ من قوة الإمارة، وتصادم الطرفان واستطاع السلطان عبد العزيز الانتصار في عدة مواجهات، وفي فترة لاحقة، استطاع العثمانيون فرض سيطرتهم بالقوة على سكان الإمارة[2].

---

1 محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر** ...، المرجع السابق، ص 253.

2 مليكة مكاس، **قلعة بني عباس (إمارة المقرانيين) 1500/ 1600م دراسة تاريخية**، مجلة عصور، ع 26 ـ 27، جامعة وهران، الجزائر، جويلية – ديسمبر 2015، ص ص 145 ـ 156.

3-3- مواقف مختلفة:

أ- العلماء:

عموما كان موقف العلماء مواليا للعثمانيين، وليس هذا فحسب، حيث نجد بعض العلماء ضمن الأعيان الذين طلبوا نجدة الإخوة بربروس، على غرار أحمد بن القاضي أحد علماء الدين، فقد تولى القضاء في بجابة للحفصيين، ثم انتقلت إليه زعامة القبائل البربرية بزواوة سنة 1511م، وهو أحد الزعماء المحليين الذين دعوا الإخوة بربروس للتدخل لتحرير بجاية من الاحتلال الإسباني، واشترك معه في حصارها، وكان على رأس الذي أرسله أعيان مدينة الجزائر لمقابلة السلطان العثماني في إسطنبول عارضين عليه حماية بلدهم وإلحاقها بالدولة العثمانية، وعندما انتقلت إمارة الجزائر إلى خير الدين، جعل أحمد ابن القاضي واليا على القسم الشرقي للجزائر حتى حدود الدولة الحفصية، وقد راسله السلطان الحفصي وحاول تحريضه على العثمانيين، لكن ابن القاضي رفض الانصياع، بل وبّخه على هذه الخيانة[1].

ب- المرابطين:

عقب ظهور العثمانيين في الجزائر، فضّل المرابطون الميل نحوهم ضد المحتلين الإسبان، ومساعدتهم في صراعهم مع الحفصيين، والسلطة الزيانية، وقد ساعدوا عروج بربروس في تحرير جيجل. ومن أبرز المرابطين الذين ساعدوا العثمانيين السيخ أحمد بن يسوف الملياني، الذي كانت تربطه علاقة صداقة مع الأخوين بربروس، وساعدهما بالخصوص في مواجهة الزيانيين، وبدورهما وبعد دخولهما الجزائر، بعثا هدايا وأموالا للملياني، وحصلا منه على معلومات عن منطقة الغرب الجزائري، وعن وضعية السكان، واستشاروه في أموره كثيرة، وهكذا كان العثمانيون يدركون أن المرابطين أفضل حليف يمكن الحصول عليه، وبفض المرابطين استطاع العثمانيون مجابهة السلطة المحلية في الجزائر، ففي قسنطينة استمال العثمانيون أسرة

1 محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر** ...، المرجع السابق، ص ص 247 . 249.

الفكون، للحصول على مساعدتهم في الاستقرار بالمدينة، واستطاعوا بفضل هذا التحالف من الزحف التوسع داخل البلاد، وفرض سلطتهم على المناطق النائية[1].

ج-الطرق الصوفية:

عند إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، كان لأهل التصوف صيت ونفوذ واسع على العامّة، وقد أدرك ممثلو السلطة الجديدة هذه الحقيقة منذ البداية، وقد كان لبعضهم معتقدات بشأن الولاية والتصوّف، لذلك عمل العثمانيون على مسايرة أصحاب هذه المعتقدات واستغلالها لتحقيق أهداف سياسية ومن مظاهر ذلك، احترام رجال التصوف، ومنحهم الامتيازات، وبناء الأضرحة والمقامات أو صيانتها وتجديدها، وجعل بعض المؤسسات الصوفية متمتعة بالحصانة، ومن جهتهم أهل التصوف استغلوا موقف السلطة منهم لتدعيم نفوذهم، فكانوا يساعدون الحكومة المركزية وأعوانها على إقرار السلم وتجاوز الفتن، وكانت لهم مقدرة كبيرة على إنجاز هذه المهمّة الصعبة، وبناءً على ذلك ازداد نفوذ الصوفية، حيث صارت السلطة تتوجس منهم خيفة، وبدأت العلاقة تصدع بين الطرفين، وبلغ هذا التصدع ذروته في أواخر العهد العثماني بالجزائر[2]، حيث اندلعت ثورتين كانت وراءهما الطرق الصوفية، هي ثورة درقاوة[3]

---

1 صباح بعارسية، **دور المرابطين في أحداث القرن 10 هـ / 16 م في الجزائر**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ع 31، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017، ص ص 285 ـ 291.

2 عبد الحكيم مرتاض، **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (924-1246هـ/ 1518 – 1830م) تأثيراتها الثقافية والسياسية**، أطروحة الدكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2015 – 2016م، ص 274.

3 **ثورة الدرقاوة:** قائدها هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، فجّر ثورته في الغرب الجزائري، بعد أن تمكّن من كسب تأييد قبائل الصحراء ضد العثمانيين، حيث جرت معارك بين الطرفين، عرفت في البداية تفوّق الدرقاوي على الباي مصطفى العجمي، مما جعله يفكر في التقدّم نحو وهران مستندا على تأييد قبائل الغرب، حتى المخزنية كانت ضمنها، لتتخلص من ثقل الضرائب المفروضة عليها. استقر الدرقاوي بداية في معسكر، ومنها توجّه إلى وهران، لكن إثر تعويض الباي مصطفى بالباي محمد بن عثمان، وانقلاب موقف سكان معسكر، بدأت ثورة الدرقاوي تفقد قوّتها، خاصة بعد أن فقد الشريف الدرقاوي ثقة القبائل. وبدأ في

وثورة ابن الأحرش[1].

وفي الختام، يمكننا القول، أن الوجود العثماني في الجزائر، لم يأت بالقوة، وإنما كان تدخلا وحماية فرضت بطلب من أهالي الجزائر، الذين كانوا بين تشتت وعدم استقرار السلطة المحلية من جهة، وأطماع وتحرشات الإسبانيين من جهة أخرى، وقد لعب الأخوين بربروس، دورا محوريا في ترسيخ هذا الوجود، حيث عملا على صدّ الاعتداءات الخارجية الإسبانية، والقضاء على التمردات الداخلية، والدخول تحت الحماية العثمانية، عن طريق مجموعة من الاتصالات، ورغم المواقف السلبية التي اتخذها الزعماء المحليون وبقايا السلطة الزيانية تجاه هذا الوجود، فإن غالبية السكان كانوا مؤيدين للعثمانيين ومدافعين عنهم، نظرا لدورهم في إعلاء راية الجهاد، وبعض الدولة الجزائرية الحديثة، والمساهمة في عملية التعمير والتشييد، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصلين المواليين.

الانسحاب نحو الجنوب، إلى أن اختفى الدرقاوي اختفاءً غامضا. ينظر إلى: مختار بونقاب، **انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري 1802 – 1816**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع التاريخ، ع 3، جامعة معسكر، الجزائر، 2008، ص ص 135 – 138.

1 **ثورة ابن الأحرش:** أعلن محمد بن عبد الله ابن الأحرش خلال صيف 1804، الجهاد للقضاء على السلطات العثمانية ببايلك قسنطينة، واستطاع الحصول على تأييد مختلف قبائل الشرق الجزائري، وجرت بين الطرفين المتصارعين عدة مواجهات، كانت نتيجتها مقتل الباي عصمان، والقضاء على الحامية العثمانية ببايلك الشرق، استطاعت السلطة القضاء على تمرد ابن الأحرش في الشرق، لينتقل إلى الغرب الجزائري، ويشارك في ثورة الدرقاوي هناك، وقد اختلفت الروايات حول نهاية ابن الأحرش. للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 263 – 295.

الفصل الثاني:

موقف أحمد الشريف الزهار من التواجد العثماني في الجزائر – مذكرات أحمد الشريف الزهار أنموذجا – (1519- 1830م)

1- التعريف بالكاتب.

1-1- مولده ونسبه.

1-2- نشأته وتكوينه.

1-3- مؤلفاته وآثاره.

2- التعريف بالكتاب (مذكرات نقيب الأشراف).

2-1- لمحة عامة عن الكتاب.

2-2- دوافع تأليفه.

3- موقفه من الوجود العثماني بالجزائر.

3-1- موقفه من الجهاد.

3-2- موقفه في المجال العمراني.

3-3- موقفه من الصلح.

3-4- موقفه من بعض القضايا السياسية

تمهيد:

تعتبر مذكرات أحمد الشريف الزهار وثيقة مهمّة، لا تتعلق فقط بالدفاع عن الوجود العثماني بالجزائر، والذي تعرّض لمحاولة تشويه وتغييب طوال فترة الاحتلال الفرنسي، وإنما يضعنا أيضا في صورة تحولات كبيرة عرفتها الجزائر، حيث شهدت البلاد التطور والازدهار والقوة بعد أن كانت مهددة من كل جانب بالحملات الأوروبية، فبمجيء العثمانيين بدأت عهدًا جديدًا وصل أوجّه خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مع ملاحظة استثناء فترات معينة، ثم بدأت الدولة في الضعف والانهيار، إلى غاية التحول الكبير الذي عصف بالبلاد في سنة 1830م، حين احتلت البلاد، كنتيجة منطقية، لتقهقر القوة العثمانية، وقد بدأها صاحبها بولاية أحمد باشا إلى غاية ولاية حسين باشا، مضمّنا هذا السرد، موقفه من هؤلاء الدايات وأيضا بعض البايات، كما سنرى.

1-التعريف بالكاتب.

1-1-مولده ونسبه.

ولد الحاج أحمد بن علي النقيب بالجزائر سنة (1196 هـ - 1781م)، أيام الباشا محمد عثمان باشا، وهو ينتمي إلى عائلة يعود نسبها إلى الأشراف الأدارسة[1]، وقد ذكر أبو القاسم الحفناوي نسبه في مؤلفه "تعريف الخلف برجال السلف"، بأنه ابن أحمد، بن علي، من آل محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن زرقى بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن علي بن محمد بن عبد الله بن داود بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما ابنة رسول الله ﷺ[2]. وقد أضاف الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن نسب هذه العائلة يرتبط مع نسب الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، وأن تواجد هذه العائلة في الجزائر يعود إلى القرن العاشر الهجري[3].

1 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** "**تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**"، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، بيروت، 1999، ص 515.

2 أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906، ص 469.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)**، ط 1، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 492.

توارثت عائلة الزهار نقابة أشراف الجزائر أباً عن جد، والمعروف أن نقباء الأشراف[1] ينتمون إلى فئة العلماء، الذين يحملون صفة علم الدين والقضاء، والمعروف أن "نقيب الأشراف" في الجزائر العثمانية يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع، وقد وصلت هذه المكانة إلى أن تقلد الباشا كان لا يتم بدون حضور نقيب الأشراف، هذا بالإضافة إلى العلماء والديوان، وهذا التقليد كان مشابها لما كان يجري في الباب العالي من مراسيم سلطانية، وقد كانت عائلة "الزهار" من بين أبرز العائلات التي تولت قيادة النقابة في الجزائر إلى جانب عائلة المرتضى، وقد أضاف المؤرخون والباحثون أن أوقاف الأشراف كانت تحظى بوكيل خاص أيضا، ولم يكن نفسه النقيب المذكور، ذلك أن النقابة كانت منصبا معنويا، بيد أن الوكالة كانت منصبا إداريا[2]. كما تم إرجاع تاريخ ظهور فئة "الأشراف" إلى أوائل القرن 11 للهجرة (17م) حيث بنى لهم الباشا محمد بكداش سنة 1121 رباطا خاصة بهم، وقد يكون هذا من أسباب موالاتهم له ونسبته إلى هذه الفئة[3].

1-2-نشأته وتكوينه.

تلقى الزهار تعليمه الأولي بمسقط رأسه الجزائر، وقد كان يحظى بمكانة متميزة في المجتمع نظرا لصلة أسرته ووالده تحديدا بموظفي البايليك ورجال الديوان، إلى أن تولى رئاسة

---

1 **نقابة الأشراف:** هي مؤسسة تتميز بخصائص اجتماعية وعلمية، يتولاها شخص أجداده ذا شرف، ولفظ الأشراف، لدى العثمانيين أطلق على الأغلب لأصحاب الأصالة في نسبهم، أما النقيب فتعني: المختار من المجتمع ووكيله ورأس الجماعة. ترجع المصادر تأسيس نقابة الأشراف إلى عهد العباسيين، وقد كانت الشروط المطلوبة من النقباء تتمثل في كونهم ينحدرون من أسرة كبيرة، وأن يكونون أصحاب فضائل، وأصحاب رأي، وأن تجتمع فيهم شروط الرئاسة والسياسة. أما الأسباب الداعية للانسحاب من نقابة الأشراف، نجد: الوفاة، العزل أو النفي، التنازل للغير أو الانفصال، الانفصال بسبب التعيين في المشيخة، للمزيد ينظر إلى: مراد صاريجك، **نقابة الأشراف في الدولة العثمانية**، ط 1، ترجمة: سهيل صابان، دار القاهرة، القاهرة، 2007.

2 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)**، ط 1، ج1 ، دار الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 241.

3 المرجع نفسه، ص 242.

نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه. وفي 1830م وخلال الحملة الفرنسية على الجزائر، ساهم الزهار وهو كهل يقارب الخمسين من عمره في الدفاع عن مدينة الجزائر، ولم يكن محلّ ثقة الإدارة الجديدة، فقد أبعد من الجزائر، فهاجر إلى تونس سنة 1832م. وهناك كان يحضر حلقات جامع الزيتونة، ودأب على متابعة دروس الشيخ إبراهيم الريحاني والحاج الطيب بن عيسى الجزائري[1].

عاد الزهار إلى الجزائر وبالتحديد إلى قسنطينة حيث شغل لفترة خط الكتابة لدى باي قسنطينة الحاج أحمد باي، وفي سنة 1837م، وإثر سقوط المدينة في يد الفرنسيين، انتقل الزهار إلى زاوية سيدي الحبشي (بفتح الحاء وسكون الباء) قرب بوفاريك حيث كان يقطن إخوانه وبني عمومته، ليقيم فيها بعض الوقت، وهناك اتصل بأعوان الأمير عبد القادر وممثليه بمليانة، ليلتحق بعد ذلك بمعسكر، حيث تولى كتابة سر الأمير وكان ملازما له في تنقلاته، وبعد سقوط العاصمة المتنقلة للأمير "الزمالة[2]"، في أيدي الفرنسيين، هاجر الحاج الزهار إلى المغرب الأقصى ومكث بتطوان ثلاث سنوات طالبا للعمل والمعرفة، كما كان يلقّن دروساً للطلبة، كما زار فاس التي كانت تعدّ وجهة وقطبا يقصده طلبة العلم من كل الأقطار الإسلامية[3].

---

1 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي...**، المرجع السابق، ، ص 515.

2 **الزمالة:** مؤسسة استحدثها الأمير عبد القادر، بعد أن استولى الفرنسيون على عاصمته معسكر، وتخريبهم لعاصمته في الجنوب تاقدامت، اشتملت الزمالة أو العاصمة المتنقلة، على جميع المنشآت والمؤسسات العامة من مكاتب، ومدارس، ومساجد، ومصانع أسلحة، وورش للتصليح، ومصانع للسروج، ومدابغ، ومتاجر، وخياطين، وحدادين، كما كانت تعقد فيها الأسواق، وبها خزينة بيت المال، وخزائن الولايات، وممتلكات الخلفاء ورجال دولة الأمير. تجاوز سكانها حين استولى عليها الدوق دومال، 60.000 نسمة، تنتشر خيامهم في المنطقة الممتدة من طاقين إلى البيضاء في أعالي الشلف. للمزيد ينظر إلى: إسماعيل العربي، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص231 - 238.

3 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي ...**، المرجع السابق، ص 515.

لقد كانت ظروف الحياة الصعبة وتقدمه في السن، وأسباب أخرى، دفعت الحاج الزهار على العودة إلى الجزائر، بصحبة ولديه الحاج قدور وسيدي محمد، وفي ظل الإدارة الاستعمارية تولى من جديد وهو في الثالثة والستين من عمره 1259 هـ - 1843 م نقابة الأشراف، وهذا بالتزامن مع اشتغاله بالتجارة، واستمر في منصبه كنقيب إلى أن وافته المنية في سنة (1289 هـ 1872 م)، وقد تجاوز سنه التسعين، ودفن بزاوية جده[1].

1-3-مؤلفاته وآثاره.

تعتبر كتابات الشريف الزهار، من أهم الوثائق التاريخية التي تقيّد أحداثا عرفتها الجزائر العثمانية، فقد واظب الرجل على تسجيل ما انتهى إليه من الأخبار وما شاهده من الأحداث، وكان كما ذكر الأستاذ سعيدوني مدفوعا بحنينه إلى ذكرياته وولوعه الفطري بتسجيل الوقائع وساعده على ذلك اطلاعه على الأحوال ومعرفته بالتطورات التي عرفتها بلاد المغرب العربي آنذاك، ومن جملة ما خلّف كتابين تقاسمهما أبناءه، وفيما يخص الجزء الأول فقد تلاشى واختفى وقد ذكر محقق الكتاب الثاني الأستاذ أحمد توفيق المدني بأن هذا الجزء هو الأهم، وقد وقع في أيدي ميسيو لوسياني مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة الفرنسية، وموضوع هذا القسم تتعلق بحوادث الاحتلال وما صاحبها من مظاهر العسف والظلم، بالإضافة إلى أحداث المقاومة الجزائرية التي قادها كل من الحاج أحمد باي قسنطينة آخر ممثلي السلطة العثمانية، والأمير عبد القادر الذي بعث من الغرب الجزائري الدولة الجزائرية، كما ضمّن الزهار هذا الجزء عادات أهالي مدينة الجزائر، والتعريف بعلماء القطر، وأدباءه وشعراءه، ولم يُعثر من هذا الكتاب إلا على قسم صغير، أورده المدني في مقدمة الكتاب الثاني، وقد تحسّر على هذه

1 نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ـ من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ـ**، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 216.

الخسارة التي لحقت بالعلم والأدب والتاريخ[1]، ومن جهته الأستاذ سعيدوني ذكر أن هذا الفقد، جاء نظرا لأن الكتاب كان في حوزة الحاج قدور وقد عرّضه للضياع أو أخذه منه مدير الشؤون الأهلية بالإدارة الفرنسية لوسياني ولم يحافظ عليه فلم تبق منه سوى نتف تتصل بعادات أهل الجزائر وذكر بعض علمائها أثبتها أحمد توفيق المدني في آخر ما نشره من المذكرات[2].

أما الكتاب الثاني الذي خلّفه الزهار، فهو ما دوّنه في شكل مذكرات في دفاتر وكراسات خاصة كان بعضها مستعملاً لتقييد حسابات عائلية، ولم تكن الظروف مساعدة له من أجل تصحيح وتنقيح ما كتبه وإتمام ما كان ناقصاً منه، وسدّ الفراغات التي تركها للتحقق من شأنها، وتلافي انقطاع التسلسل التاريخي في سرد الأحداث حتى أن الكراس الذي سجل فيه أحداث العهد العثماني ترك في مستهله ثلاث عشرة صفحة فارغة دون أية تقاييد. وهذا ما جعل الكتاب يبتدئ بولاية الداي علي باشا بوصبع (1168 هـ 1754م) كما أنها لا تتضمن سوى إشارات مقتضبة لحكم عروج، وقد فسر المؤرخون الأمر بأن الزهار كان ينوي الرجوع إلى كتب وتقاييد بحوزته لتغطية تلك الفترة من تاريخ الجزائر[3]، وهذا القسم هو الذي كان من نصيب سيدي محمد وهو الخاص بالفترة الأخيرة من العهد العثماني وقد وصل إلينا كاملاً بعد أن احتفظ به صاحبه لفترة طويلة وظل يحافظ عليه ابنه سيدي محمود بن محمد ورفض تسليمه لمدير الأمور الأهلية ميرانت خشية ضياعه وفضّل أن يسلمه للأستاذ أحمد توفيق المدني الذي عمل على نشر قسم منه يتعلق بسيرة محمد عثمان باشا سنة 1937 قبل أن يتمكن من نشره كاملاً مع إضافة تعليقات عليه وتبويب، وكان ذلك في 1974م[4].

1 أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر)**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 10، 13.

2 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 516.

3 المرجع نفسه، ص 515.

4 المرجع نفسه، ص 516.

2- التعريف بالكتاب (مذكرات نقيب الأشراف):

2-1- لمحة عامة عن الكتاب:

إذا أردنا وصف الكتاب وصفا ظاهريا، فالكتاب يحمل العنوان: "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168 - 1246 هـ / 1754 - 1830 م. "وعدد صفحاته: 196 صفحة، وهو من إصدار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر سنة: 1974. الواجهة الأمامية للكتاب زرقاء وعليها إطار مزخرف بمثلثات سوداء، يتوسط الإطار العنوان: "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار" وبخط أصغر حجماً عبارة "أشراف الجزائر"، تحت العنوان نجد اسم المحقق أحمد توفيق المدني، وفي أعلى الإطار نجد عبارة ذخائر المغرب العربي أما في أقصى أسفل الإطار نجد شعار كُتب عليه الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. وبنظرة سطحية، نستطيع القول، أن لغة الكتاب عربية بسيطة ونجد أحياناً كلمات بالعامية، لكن المحقق في آخر كل فصل يعيد كتابتها باللغة الفصحى.

ونظرا للدور الكبير الذي لعبه الأستاذ أحمد توفيق المدني في تقديم وبعث مذكرات الزهار، سنعطي لمحة مختصرة حول شخصيته وأعماله المتصلة كثيرا مع موضوع هذه المذكرات.

ولد أحمد توفيق المدني بتونس في الفاتح من نوفمبر 1899م، في فترة خصبة بالنشاط العلمي والسياسي، حيث كان شاهدا على ميلاد المدرسة الخلدونية، وازدهار الصادقية، وأيضا الإصلاحات التي مسّت جامع الزيتونة، وقد درس في الخلدونية والزيتونة، وأيضا كتب في الصحافة وشارك في السياسة والحياة الحزبية، وكان هذا ذلك قد أكسبه عداوة الإدارة الفرنسية، فأبعدته إلى وطن آبائه وأجداده الجزائر سنة 1925م، وابتداءً من هذا التاريخ، لعب المدني دورا مؤثراً في الحياة العامة الجزائرية، منها مساهمته في تأسيس نادي الترقي، ومشاركته بمقالات صحفية في صحيفة الشهاب وغيرها، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، محررا في جريدة البصائر، ثمّ عيّن في منصب أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد حلّها سنة

1956، أعلنت الجمعية انضمامها إلى جبهة التحرير الوطني، وفي أعقاب ذلك رحل المدني إلى القاهرة وأصبح أحد الأعضاء البارزين في جبهة التحرير، خطيباً وداعية، وكذلك مؤلفاً، ثم وزيراً وممثلاً عن الجزائر في الجامعة العربية، وقد توفي يوم 18 أكتوبر من سنة 1983م.

ومن مؤلفات المدني العديدة والتي لا يسعنا التعرض لها هنا، نذكر:

- مؤلّف بعنوان: "الجزائر"، نشره بالجزائر سنة 1932م.

- مؤلف بعنوان "محمد عثمان باشا وخلاصة تاريخ الأتراك بالجزائر"، نشره أيضا في الجزائر، سنة 1938م.

- مؤلف بعنوان: "جغرافية القطر الجزائري"، نشره في الجزائر، 1948م.

- هذه هي الجزائر، القاهرة، 1957م.

- حياة كفاح (مذكرات)، وهو في ثلاثة أجزاء[1].

وبالعودة إلى كتاب الزهار ومحتواه، فهذه المذكرات مقسّمة إلى إحدى عشر جزء وكل جزء منها يتناول باشا أو (داي) من دايات الجزائر في الفترة الممتدة من 1168 - 1246 هـ / 1754 - 1830 م، ويذكر أهم أعمالهم وبطولتهم والحروب التي قاموا بها. يبدأ بولاية علي باشا بوصباع ثمّ ولاية محمد باشا المجاهد ثمّ ولاية حسن باشا تليها ولاية مصطفى باشا فولاية أحمد باشا وولاية علي باشا وولاية الحاج علي باشا ثمّ ولاية عمر باشا ثمّ ولاية علي باشا وآخرها ولاية حسين باشا الذي انتهى معه الوجود العثماني في الجزائر، كما يحتوي الكتاب على تقديم للمحقق أحمد توفيق المدني يذكر فيه كيف استلم الكتاب وهو في شكل مخطوط وكيف

1 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830 ـ 1954)**، ج: 7، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 418 .

أخذ على عاتقه تحقيقه ونشره لما له من أهمية بالغة في فترة حساسة من تاريخ الجزائر[1].

كما يحتوي الكتاب على خاتمة من إعداد المؤلف، تطرق فيها إلى التحول الذي تعرفه الدول عامة، فعلى سبيل المثال عرفت الجزائر من خلال العثمانيين التطور والازدهار والقوة بعد أن كانت مهددة بالحملات الأوروبية فبمجيء العثمانيين بدأت عهدا جديداً وصل أوجّه في القرنين السادس عشر والسابع عشر باستثناء فترات معينة، ثم بدأت الدولة في الضعف والانهيار معتمداً الزهار في تحليله هذا على نظرية ابن خلدون في مراحل تطور كل دولة (الطفولة والشباب ثم الشيخوخة).

يضمّ الكتاب في الأخير وثيقة وحيدة، وهي البيان الذي وزّعه قائد الحملة الفرنسية المارشال دوبرمون على الجزائريين عشية الغزو الفرنسي وقد أضافها الزهار نظرا للدور الذي لعبته في عملية الاحتلال من خلال تأثر الجزائريين بها وتصديقهم لما جاء فيها حيث تعتبر دعاية سلبية مارستها فرنسا بهدف إحداث القطيعة بين الداي والجزائريين تسهيلاً لعملية الاحتلال.

2-2-دوافع تأليفه:

إن هذا الكتاب الذي يضعه الزهار بين أيدينا يعتبر وثيقة مهمّة، لا تتعلق فقط بالتاريخ العثماني بالجزائر والذي تعرض لمحاولة تشويه وتغييب طوال فترة الاحتلال الفرنسي، وإنما يضعنا أيضا في صورة تحول كبير عرفته الجزائر سنة 1246 هـ / 1830 م هذا التحول الذي قلب النظام في البلاد وأبقى الجزائر 132 سنة تحت محتل يحاول بكل الطرق طمس أي معالم لدولة كانت قائمة وتمتع بسيادة وقوة قبل مجيء المُحتل بقرون، كما يعطينا الزهار صورة واضحة عن أحداث الحملة الفرنسية والتي تقل فيها الكتابات المعاصرة لها، ولم يكن الزهار معاصرًا للحملة فقط بل طرفاً فاعلاً وشاهداً على مجريات الأحداث لقربه من الداي، ولو لم يكن هذا الكتاب وثيقة صادقة عن التواجد العثماني بالجزائر ومن ثم الاعتداء الفرنسي؛ لما

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 13.

حاول ممثلو الإدارة الفرنسية الاستيلاء عليه كما ذكر المدني في مقدمة الكتاب، والأستاذ المدني بجهوده هذه، جعل من الكتاب منارة للباحثين في تاريخ الجزائر بحقبتيه العثمانية والفرنسية، والجدير بالذكر أن الزهار لم يقدم عملا تاريخيا بالمعنى الحقيقي للعبارة، فهو لم يخفِ انفعالاته بل يظهرها في كل جزئية ومع كل حدث وبكل قوة وهذا ما يتعارض مع الموضوعية التي يجب أو على الأقل يحاول أن يتصف بها كل كاتب ومؤرخ، وما فعله الزهار شيء طبيعي فالكتاب في الأصل ليس عملا علميا أو أكاديميا فهو في الأصل عبارة عن مشاهدات شخصية وملاحظات عامّة في الحياة وتطورات الأحداث، وقد صدرت من شخص كان فاعلا فيها وشاهدها، لذلك فالكتاب لا يخلوا من الحماس الذي كان يشعر به المؤلف إزاء تفوق المسلمين ويرى أن الدولة دولته وبمقارنته مع حمدان خوجة، نجد هذا الأخير أكثر موضوعية رغم أن كلا الرجلين معجب بحكم الأتراك ولو بدرجات مختلفة وكلاهما طرف فاعل في أحداث الحملة والدفاع عن مدينة الجزائر [1].

وإذا كان حمدان خوجة قد كتب مرآته كوثيقة تنير الرأي العام الفرنسي بحقيقة ما يحدث في الجزائر، فإن ظروف كتابة الزهار لمذكراته مختلفة تماما، فحسب الأستاذ أحمد توفيق المدني فقد كتب الزهار هذه المذكرات بعدما عاد من المغرب الأقصى حيث استقر بمدينة الجزائر وتسلّم من جديد نقابة الأشراف واشتغل التجارة في دكان استأجره واعتكف على الكتابة والتأليف وجمع مختلف أخبار الجزائر في العهد العثماني وقد أراد من خلال هذا الكتاب تسليط الضوء على تاريخ الجزائر في حقبته العثمانية بإيجابياته ومساوئه وهو العهد الذي أراد الاستعمار الفرنسي إظهاره في شكل احتلال ومن ثم تظهر نية فرنسا وكأنها تخليص الجزائريين من الطغاة العثمانيين ونشر الحضارة الفرنسية، كما أراد الزهار من خلال كتابه هذا التشهير بحوادث الاحتلال الفرنسي الرهيب وما صاحبها من مظاهر القتل والعسف.

وقد أضاف الأستاذ سعيدوني بأن هذه التقاييد أو مذكرات أحمد الشريف الزهار تتميز

1ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ....، المرجع السابق، ص 518.

"...**بأنها سجلات حية وواقعية حول التحولات التي عاشتها الجزائر ابتداءً من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وأيضا السنين الأولى للاحتلال فهي تشبه يوميات حسن الفقيه الطرابلسي التي قيد فيها الوقائع التي عاشها بطرابلس الغرب**"، وأضاف بشأن القيمة الإضافية لهذه المذكرات: "**أنها كُتبت بأسلوب بسيط وأيضا مؤثر أقرب إلى اللغة العامية ولميتم إخضاعه لمراجعة أو تصحيح لذلك هي (المذكرات) محافظة على هدفها، وعليه هي صورة تعكس بصدق أحوال الناس وطبيعة الأحداث التي كانت تثير اهتمام العامة**"، وأننا من خلالها يمكننا التعرف على شخصية الشريف الزهار فهو حسب ما قيّده وكتبه، رجل يتفاعل مع الأحداث ويبدي رأيه ويحكم على سلوك وتصرفات الأشخاص، وهو يشجع على الجهاد ضد النصارى ولديه حماس للدفاع عن الإسلام، وكان يتأثر بما كان يصيب المسلمين، فكان ينقد تصرفات الحكام وسياستهم الجائرة أحيانا، وكان من مناصري الإصلاح، ومعجب بعظيم الأعمال، لذلك تأسف وتحسر على مقتل صالح باي ويحيى آغا[1]، لما كان يكنّه لهاته الشخصيتين من الاحترام لقاء أعمالهم ومنجزاتهم[2].

1 **يحي آغا:** أشهر قائد عسكري، عرفته الجزائر على عهد الآغوات والدايات، كان له دور كبير في تولي أحمد باي حكم إقليم قسنطينة، كما ساعده في تدعيم سلطته هناك، قتله الداي حسين بعد مؤامرة دبرت له من طرف بعض الطامحين لمنصبه. ينظر إلى: حمدان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 150.

2 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 517.

3- موقفه من الوجود العثماني بالجزائر:

3-1- موقفه من الجهاد:

كان الجهاد المعيار الأبرز لدى الزهار في تقييمه لسياسة الدايات، فقد امتدح محمد باشا، وذكر بأنه: "**ومن طاعته لله وامتثال أوامره، أنه كان يحب الجهاد، وكان استعداده دائما للحرب وكان مغرما بتجهيز المراكب للغزوات، وفي أيامه كثر الرؤساء في البحر وكانت لمراكبه سمعة، ومن أكبر رؤساء عصره الحاج محمد قبطان وكان له صيت في البحر. وما وجد مقيدا في دفاتر الرؤساء أن هذا القبطان أتى بأسارى في مدة سفره في البحر ما مجموعه 24000 أسير**"[1].

وقد أضاف الزهار أن محمد باشا قد بنى ثمانية مراكب للغزو وأنشأ فركاطة كبيرة عليها 24 مدفعا وستة سفن خفر السواحل[2]، وكان هذا الباشا لا ينقطع عن بعث مراكب الجهاد ضد الإسبان تحديدا، وهم الذين كانت عداوتهم للمسلمين كبيرة، فكانت مراكب الباشا تعود بالغنائم وقد أسرت نساءً وأطفالا، ونتيجة لهذا الجهاد الكبير اضطر الإسبان أن يبتعدوا عن السواحل إلى الداخل، وقد لحقهم المسلمون وصاروا يأخذون لهم بشكل فاق السابق، وقد أحصى الزهار ما عدده 10.000 أسير إسباني في هذه الفترة، دون أسرى باقي الأجناس، الذين كان عددهم حوالي 8000 أسير[3]. وقد نشط الجهاد خلال عهد محمد باشا إلى درجة أن أهل البلاد كانت لهم مراكب تدعى "كراك" يغزون بها، ويعودون بالغنائم[4].

أما محمد باشا، فقد كان مؤازرا للباب العالي في حروبه، ومن ذلك أنه عندما بعث السلطان

---

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

2 المصدر نفسه، ص 25.

3 محمد شاطو، **نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023، ص 58.

4 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 27.

مصطفى يطلب المراكب الجهادية من الجزائر، امتثل محمد باشا لذلك، وزوّد الجيش العثماني بخمس مراكب، وما تحتاجه من لوازم الحرب ووضع عليها القبطان ابن يونس، وأقاموا هناك خمسة أعوام، ثم عادوا إلى الجزائر[1]. وقد أتبع هذا الباشا المدد الأول، بتجهيز ثان ضمّ خمسة مراكب، توجهت إلى جزيرة كريت، وأقامت هناك ستة أشهر، ثم عادت إلى الجزائر، أما التجهيز الثالث، فكان في عهد السلطان عبد الحميد، وقد ضمّ خمسة مراكب أيضا، وكان القبطان عليها هو الحاج سليمان، وتصادمت مع مراكب يونانية، كان السلطان قد حاول مرارا الظفر بها ولكنه لم يستطع، إلى أن نالت منها المراكب الجزائرية، التي أحرقتها وقتل المسلمون من قتلوا من ركابها، وعادوا إلى السلطان يحملون أخبار هذه الغزوة، وقد ذكر الزهار أن السلطان فرح بذلك، واستبشر جميع المسلمين في اسطنبول وخرجوا لرؤية المراكب الجزائرية ودعوا لها بالنصر، وكان ذلك اليوم كأنه يوم عيد وموسم جديد[2].

ومن الأعمال الجهادية التي استحقت إشادة الزهار، أنه في سنة 1198هـ عندما هاجم الإسبان الجزائر، خرج إليهم المسلمون، واستمرت المعركة قرابة الساعتين، وقد كان على رأس الجيش الجزائري القبطان محمد، وأن الأسطول الإسباني مكث أياما، وعندما تأكد له استحالة مواجهة الأسطول الجزائري عاد أدراجه. وفي وصفه لمشهد الخروج للجهاد، يقول الزهار: "**وعندما يأتي وقت الخروج لملاقاة العدو، تجد الناس يزدحمون على الركوب معهم، ولا يصل لذلك إلا الرجل الشجاع. وقد سمعت من أحد الحاضرين، أنه وقت الخروج لملاقاة العدو، يصلي الناس صلاة الجنازة على الخارجين للحرب، ويشج الناس بالدعاء والصلاة على النبي ﷺ، ويخرج المجاهدون تصحبهم آلات الطرب والجواق كأنهم خارجون للنزهة، وهم مع ذلك لا يلتفتون إلى ذلك ولا يتغوشون منه**"[3].

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 28.

2 محمد شاطو المرجع السابق، ص 59.

3 المصدر نفسه، ص 33.

وامتدح نقيب أشراف الجزائر جهود باي وهران أيضا، والتي تكللت بفتح المدينة: "**وفي سنة الست (1206هـ/ 1791م) فتح الباي محمد وهران وأطال الحصار عليها، حتى سلّموا وخرجوا منها، وجاءت البشائر للجزائر، بفتحها وانتقل الباي محمد إليها وسكنها وصارت سكنا للبايات من بعده، ودخل النّاس إليها وعمروها، وبنيت فيها المساجد. وبعث حسن باشا بشارة فتح وهران، ومفاتيحها إلى السلطان ففرح بذلك واستبشر المسلمون بهذا الفتح العظيم والنصر المبين ....**[1]".

وقد وصف الزهار تفاعل حسن باشا مع أحداث فتح وهران على أيدي الباي محمد الكبير، حيث بعث بشارة الفتح ومفاتيح المدينة إلى السلطان سليم، الذي بدوره استقبل الخبر بفرح كبير، وأكرم الرسل، وبعث معهم الخلعة والتقليد لحسن باشا[2].

ومن الأعمال الجهادية التي شهدتها ولاية هذا الباشا، أورد الزهار، الخرجة الجهادية، التي قام بها القبطان محمد سنة (1207هـ-1793م) حيث أخذ عشرون مركبا من الفلامنك، وعاد إلى الجزائر بالغنائم، وقام ببيع السلع والأثاث الذي وجده في المراكب وقسم أموالها على المشاركين في الغزوة، فأخذ كل واحد ثلاثون سلطانيا، وامتلأت أيديهم، وفي السنة الموالية، أعادوا الكرة وأخذوا للفلامنك مراكب عديدة، بها مواد غذائية وغيرها من السلع، وقد ذكر الزهار أن السكر أصبح لا يباع ولا يشترى، وقد وصل سعره إلى سبعة دراهم، وهذه المرة أخذ المشاركون في الغزوة ما مقداره أربع وعشرون سلطانيا[3].

ومن الأعمال الجهادية التي قام بها حسن باشا، هي توجيه أوامره، بتجهيز سبعة مراكب جهادية، وتوجيهها نحو جنوة وسردينيا، ويأخذوا مراكبهم، وبالفعل أخذوا عشرة مراكب، وعادوا إلى الجزائر، بالغنائم التي باعوها في وقسّموها فيما بينهم، وكان نصيب الواحد منهم ثمانية سلطاني.

1 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 60.

2 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63.

3 المصدر نفسه، ص ص 65، 66.

وقد أتبعوا هذه العملية بأخرى نحو النابوليتان، فغنموا منهم ثمانية مراكب وعادوا إلى الجزائر[1].

وأشاد الزهار أيضا بالأعمال الجهادية لمصطفى باشا، فقد جهز خمسة مراكب جهادية، أغارت على سفن لليونانيين، وأتت بها إلى الجزائر، وقد أخذ الباشا إحدى هذه السفن وعمّرها وسماها "الزبنطوطة" وجعل لها رئيسا وأخذ بها غنائم كثيرة. أما الغزاة فقد عادوا ناحية إسبانيا وتواجهوا مجددا مع اليونانيين، وغنموا ثمانية عشرة مركبا محملة بالقمح وأنواع السلع، ونزلوا بتلك الغنائم إلى الجزائر، وقد ذكر الزهار أنه استمر بيعها أياما، ولم ينتهوا من ذلك إلا بمشقة كبيرة، وقد أخذ كل فرد منهم اثنين وعشرين سلطاني[2].

ومما أحدثه مصطفى باشا في هذا الإطار، هو استحداث أجرة قارة لكل بحار وقد قدرها الباشا بعد تشاور مع القبطان الحاج محمد بأربعة باجة، وتم تقييد أسماء رجال البحر، واستمر هذا التقليد إلى غاية ولاية حسين باشا، الذي أحدث زيادة في هذه الأجرة باثنين باجة، نظرا لانقطاع الغنائم[3].

وقد شهدت ولاية مصطفى باشا، بطولات الرايس حميدو[4]، وهذا ما كان يثير إعجاب الزهار، من ذلك مواجهة المراكب الجزائرية بقيادة الرايس حميدو مع البرتغاليين، وحصول هذا

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66.

2 المصدر نفسه، ص 72.

3 المصدر نفسه، ص ص 72، 73.

4 **الرايس حميدو (1770-1815م):** من مواليد الجزائر العاصمة، ولم يكن له صلة بالأتراك أو الكراغلة، فهو من العرب الحضر، كان مثالا للشجاعة والجرأة، وعرف ببطولاته في البحر، وانتصاراته المتوالية على الأمريكان، والبرتغاليين والإسبان، وقد وصفه القنصل ويليام شالر بالذكاء الحاد والشجاعة الخارقة. استشهد الرايس حميدو خلال إحدى المواجهات مع السفن الأمريكية. للمزيد ينظر إلى: رشيدة سباك، **الرايس حميدو (1770-1815م) وإنجازاته العسكرية**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع: 1، مج: 4، جامعة الجزائر 2، 2022، ص ص: 54 - 63. وأنظر أيضا: وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 - 1824م)**، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 52.

القبطان على سفينة كبيرة من نوع فرقاطة[1]، وأسر من كان بها، وقد كان الزهار قد رأى مصطفى رايس وهو ممن كانوا رفقة حميدو، وبوجهه أثر البارود، وذكر أنه أول من هجم على مركب العدو، "...**وهذا دليل على شجاعة القبطان حميدو ومن معه من الغزاة رحمهم الله تعالى، وحشرنا مع زمرة المجاهدين**". أما مصطفى باشا، فقد احتفى بهذا النصر احتفالا كبيرا، فعندما أخبره قائد المرسى بهذا النصر، "أعطاه بشارة كبيرة، لكونه كان كريما، واستبشر الأمير، واستبشر جميع المسلمين وذهب جميع الناس لملاقاته بحيث لم يبق في البلد إلا العاجز، ودخل في شهرة عظيمة كأنه يوم عيد، وتعجب الناس من صنعه لأن السفينة التي تحصل عليها كانت أكبر من السفينة التي كان يركبها، وهكذا تحقق للناس أنه لا نظير للقبطان حميدو في إقدامه وشجاعته، واهتز له الأمير وأهل دولته. وقد أضاف الزهار أن مصطفى باشا بدوره استقبل المجاهدين، وأحسن إليهم، حتى امتلأت أيديهم من ذلك ومما غنموا به من الغنيمة[2].

كان الجهاد في نظر الزهار في مقدّم الأعمال التي يسردها عند حديثه عن الباشوات وفترات ولايتهم، فقد نوّه أيضا بجهود الحاج علي باشا، الذي اجتهد في إنشاء المراكب الجهادية، وبعث إلى القبطان حميدو واستقدمه من الشام، وجعله على رأس السفينة الجديدة، قبطانا كما كان، وأن هذا الباشا كان مغرما بالجهاد والغزو، ومحبا للغزاة والرؤساء، وخصوصا القبطان حميدو. وقد أمره بغزو البرتغاليين، وقد تحقق له ذلك وتواجه الطرفان ناحية جبل طارق وعادت مراكب المسلمين بالغنائم. وأيضا أغار حميدو على اليونانيين، وأخذ لهم عشرين مركبا مملوءة بالقمح والسلع، وكانت هذه المراكب عند وصولها إلى الجزائر قد تحولت إلى مراكب جهادية[3].

---

1 **الفرقاطة**: تصميم إسباني لإحدى السفن الحربية، تحتوي على 44 مدفعا، ولها أشرعة خفيفة. ينظر إلى: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 54.

2 المصدر نفسه، ص ص 75، 76.

3 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 62، ص 109.

3-2- موقفه في المجال العمراني:

في إطار ذكره ولاية محمد باشا، سرد الزهار بعض إنجازاته العمرانية، شملت بناء عدة أبراج للجهاد، منها برج سردينة، والبرج الجديد، وبرج رأس عمار، الذي أنشأه خلال حربه مع الإسبان، كما ذكر أن أهل البلاد ساهموا في تشييده حيث كانوا يذهبون بأنفسهم وهذا في سبيل الله، كما أضاف الزهار أنه كان للناس خلال عهد محمد باشا إقبال على الجهاد، وكانوا خلال الغزوات يركبون البحر في المراكب الجهادية، وكان ذلك مصدر فخر لهم، يتنافسون على ذلك فيما بينهم، وأن محمد باشا أول من صنع اللنجور، وقاتل به الإسبان[1].

وأيضا من منجزات محمد باشا العمرانية، إعادة بناء المسجد العتيق، فقد جدّده أحسن تجديد وزوّده بأعراص الرخام الأبيض، وكسى حيطانه بالزليج، حتى لا يرى البياض بداخله إلا المنبر، وأعراص الرخام.

ومن جهته محمد باشا، زوّد البلاد بماء الحامة الذي كان قبل ذلك يأتي بشكل ضعيف، وبنى له ساقية، ووقف عليه أوقافا لخدمة مجرى الماء إن فسد، وخص وكيل الماء بأجرة، وأمر بتوزيع الماء على أبراج الجهاد، وعلى المساجد والمحلات العسكرية، وبيوت الوضوء، وما بقي وزعه على العيون بزقاق البلاد، يملأ منه الناس لبيوتهم[2].

ومن إنشاءات مصطفى باشا، أنه ابتدأ بناء برج باب الواد وقد كان قبل ذلك مكان نفايات، وخلال ذلك، بنى برج رأس النافورة، وكان هناك برج صغير فهدمه وبنى في مكانه برجا آخر، وقد ذكر الزهار أن هذا الباشا كان يجهز لتجديد برج قانت الغول، لكنه توفي قبل ذلك، وأنشأ سفينتين كبيرتين، ومائتين من اللنجور، وزوج من البلاندات، واجتمع في عهده ما عدده 500 رايس، بعضهم كان يركب المراكب الجهادية، وبعضهم يسافرون، وبعضهم مقيمون في

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 22.

2 المصدر نفسه، ص 24.

البلاد، يتناوبون ركوب المراكب، وأيضا بنى الباشا بستانا بعين الربط، وبنى به دورا وقصورا، وغرس فيه أنواع الفواكه والثمار، وهو ما يعرف حاليا بـ "دار مصطفى باشا"[1].

وفي أعقاب زلزال القليعة، أشاد الزهر بسياسة مصطفى باشا حيث ذهب بنفسه إلى عين المكان، وبعد أن أسعف المصابين، ودفن الأموات، أمر بإعادة بناء جامع سيدي على مبارك، ومنارته والزاوية، وأنه كان ينوي بناء ديار للفقراء، ولكن "أصحاب الشرّ" حسب تعبير الزهار قد منعوه[2].

وفي عهد ولاية الحاج علي باشا أشاد الزهار بقيامه ببناء باب الجهاد بالمول، وبناءه المخازن التي بين البلد وبرج الفنار، وتجديده قنطرة وادي الحراش وبناءه قنطرة وادي الشلف[3]. وفي أعقاب حملة الإنجليز على مدينة الجزائر، نوّه الزهار بما فعله عمر باشا، حيث استدعى عمال البناء، وأمرهم بإصلاح الأبراج، وقد عمل هؤلاء ليلا نهارا، واستغرقوا شهرا فقط لإصلاح جميع الأبراج المهدمة، كما بنى الداي حسين الجامع الأعظم، وأنشأ سفينة حربية من نوع الكربيط[4].

وعند حديثه عن الداي حسين، ذكر الزهار ما حدّثه به بعض الناس، عن هذا الداي منوهاً بجهوده في مجال العلم والثقافة فيقول: "**وفي هذه السنة(1244هـ/ 1828م) هدم الأمير مسجد سافر وأعاد بناءه في نفس السنة، وجعل درساً لصحيح البخاري كلّ يوم، بجامع خضر باشا، على أن يُختم كل شهر ثم جعل حزبًا بالجامع الأعظم، وفيه أربعون طالباً، يقرأون سورة "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً "كل يوم وقت الزوال**"[5]. ومن الأهمية بمكان، أنه

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 80.

2 المصدر نفسه، ص 83.

3 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 65.

4 الكربيط أو الكرابط: سفينة حربية تدعى بالفرنسية "كورفيت" لأنها من غير مدافع. ينظر إلى: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 70.

5 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 72.

يجب هنا التدليل على أهمية الأوقاف التي كانت عائداتها توجّه في التعمير والتشييد، للثكنات والحصون وكذلك الأبراج والأسوار والبطاريات، وقد كان هذا من أجل الدفاع عن البلاد، في وجه الهجمات البحرية الأوروبية التي كانت تتعرض لها باستمرار[1].

3-3-موقفه من مجال الصلح:

كان الصلح من الإيجابيات التي تسترعي اهتمام الزهار وتجد استحسانه، من ذلك ما حدث بعد اشتداد المواجهات مع الاسبان، حيث سعى حسن وكيل الخرج لدى الباشا محمد للصلح مع الإسبان، وكان هذا الباشا حريصا على عدم الصلح، ولكن بعد الحملة الثالثة، وتحرير الإسبان للأسرى المسلمين وتبديلهم بالأسرى المسيحيين، وتحرير الباقي من هؤلاء بألف دورو على الشخص الواحد، وقع الصلح بين الطرفين سنة 1199هـ، لمدة مائة سنة في البحر فقط، ذلك أنه نواحي وهران أي البر استمرت حالة الحرب. وقد دفع الإسبان لقاء هذا الصلح غرامة مالية كبيرة إلى درجة أن امتد حملها في صناديق مدة ثلاثة أيام من الصبح إلى الليل، وتكاتب الطرفان على الصلح، وأطلقوا المدافع من السفن، وقد عبّر الزهار عن ذلك بقوله: "**أطفأ الله نار تلك الفتنة، ووضعت الحرب أوزارها**"[2].

والصلح الآخر الذي أورده الزهار، كان في عهد حسن باشا، عندما قدم الأمريكان يطلبون الهدنة، بوساطة بعض الدول، فطلب الباشا ثلاثة ملايين دورو، ومراكب جهادية، فتشفعوا لدى الباشا من أجل تخفيض المقابل، إلى مليونين ونصف، مع المراكب الجهادية، فرضي الباشا، وعندها فقط تم الصلح[3]، وقوبلت محاولة الداي علي للصلح مع تونس تنويه الزهار، فقد بادر هذا الداي بالتواصل مع الحكومة التونسية، وبعث إليها الحاج يوسف من كبار الأعيان، رفقة

---

1 ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (الفترة الحديثة)**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2004، ص 249.

2أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

3 المصدر نفسه، ص 66.

العلامة الشيخ سيدي علي بن النيكرو، والباش كاتب، وكيف أن هذا الداي سعى لإطفاء نار الفتنة رغم فشل المحاولة بسبب تعنّت الباي في تونس، "**بعث رسلا، وعفا عما كان من قبل مع إخوانه الباشوات، وتواضع لأن العادة أن المغلوب هو الذي يطلب العفو من الغالب**"[1].

كما تحدث الزهار عن إحدى السفارات الجزائرية إلى المغرب فيقول: " كتب الأمير عمر باشا للسلطان مولاي سليمان وعين السيد الحاج محمد العنابي قاضي السادة الحنفية رسولاً، فلما بلغ المغرب ودفع المكاتب للسلطان، أمر السلطان باستضافته، وعندما استراح مع السلطان، أعطاه بعدها مركبين من نوع "كربيط" وأيضا "بلاندرة" وأموالاً، وأمر بإيصالها للمجاهدين، ورجع للجزائر[2].

أما عن الصلح مع تونس خلال عهد الداي حسين فيروي الزهار، أن السلطان محمود الثاني[3] بعث إلى باشا الجزائر وباي تونس أن يرسل كل منهما رجلاً لينظر في أمر الجميع، فأرسل باي تونس رجلان من خيارهم أما حسين باشا فقد أرسل رجلاً من أقل الناس عقلا ودرايةً، تكلم الرجلان بين يدي الوزير الأعظم وانتهت المسألة بأن أمر السلطان بالصلح بينهما، وهكذا انطفأت نار الفتنة وفرح المسلمون[4].

---

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 138.

2 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 99.

3 محمود الثاني: **(1808 - 1839م)**: السلطان الثلاثون في سلاطين الدولة العثمانية، تلقى تعليما ممتازا في القصر انتهج سياسة ترمي إلى تجديد النظام الإداري المتكلس للدولة، وأدخل تغييرات هامة في الجيش، أبرز ما قام به هو إلغاء الانكشارية في جويلية 1826م، كما شهد عهده كارثة نافارين البحرية في أكتوبر 1827م، والانتكاسات أمام الروس في 1828 - 1829م، وأمام المصريين بين عامي 1832 و1839م، وحروب اليونان 1821 و1839 وخلال عهده تم الاحتلال الفرنسي للإيالة الجزائرية، وهو الاحتلال الذي لم تستطع الدولة العثمانية صده أو إلغائه رغم الجهود السياسية والدبلوماسية وبعض الجهود العسكرية. للمزيد ينظر إلى: روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ط 1،ج 2، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص ص 28 - 51.

4 أحمد الشريف، المصدر نفسه، ص 172.

3-4- موقفه من بعض القضايا السياسية:

رغم أن أحمد الشريف الزهار، من أبرز المدافعين عن الوجود العثماني في الجزائر، إلا أنه كان يشيد بالدايات والبايات، الذين كانت لهم سياسة حكيمة ودور إيجابي فقط، فقد مدح الزهار محمد باشا الذي كان مثالا للعدل والإنصاف، عارفا بقوانين الملك، وملتزما بأحكام الشريعة الإسلامية، وكان متواضعا في لباسه ومأكله[1].

وأيضا كان للزهار رأي إيجابي في الباي صالح، باي قسنطينة حيث قال فيه: "**أنه كان مرفقا بالرعية، ويحب الإحسان للفقراء، ومحبا للعماء والصالحين، وأنه كان لديه حرث كبير، وأيضا أنعام كثيرة، كان يستعملها في شؤونه المخزنية، وأنه بنى مسجدا في قسنطينة، وصرف عليه أموالا قل مثيلها، وسخر له أوقافا كثيرة، وقام ببناء مسجد في عنابة، وكانت كلها للخطبة، وأنه كان مجاهدا، ومآثره حسنة، وقد تقدم الكلام عن بعضها، واسمه طابق مسمّاه رحمه الله**". وقد تعجّب من قتله بأمر من حسن باشا، وهو من أفضل رجال الترك[2].

أما بخصوص مصطفى باشا، فقد قال فيه: "**كان رجلا صالحا، وكان حليما كريما يحب العلماء والصلحاء وكانت لديه رحمة تجاه الفقراء والأيتام، وكان محبا للمجاهدين والغزاة وأيضا كان شجاعا رحمه الله**[3]"، وقد أشاد بموقفه من الحملة الفرنسية على مصر، حيث استدعى القنصل الفرنسي وسأله عن الأحداث، ولما أخبره القنصل بما حدث، اغتاظ الباشا من ذلك، وأمر بتقييد القنصل بالحديد في رجله، وأن يخدم الحجر مع الأسرى، واستدعى جميع قناصل فرنسا، الذين في الجزائر وعنابة ووهران، وعند قدومهم قيّدهم أيضا، وجعلهم يعملون في الحجر، ولم يطلق سراحهم إلا بعد تدخل من السلطان العثماني عقب أن راسله الفرنسيون يطلبون وساطته لدى مصطفى باشا، واستمر الباشا في عداءه للفرنسيين، فأثناء هذه الأحداث

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 22.

2 المصدر نفسه، ص 65.

3 المصدر نفسه، ص 71.

أغار البحارة الجزائريون على المراكب الفرنسية وأخذوها غنيمة وبقي من فيها أسرى إلى أن تحررت مصر وحدث الصلح[1].

وقد كان الزهار موضوعيا حين قدّم كل حاكم ومسؤول في موضعه، وكان معياره في ذلك الجهاد والسياسة الخارجية، والبناء والتشييد، وباعتباره من مؤيدي الوجود العثماني، لم يكن يجد حرجا، في التشهير بالأعمال السلبية التي كان يقوم بها بعض الدايات، من ذلك أنه ذكر أن أحمد باشا، كان سفاكا لدماء المسلمين من غير شرع، باستثناء الجزائريين من أهل العاصمة، وأن ظلمه وصل حدّ قتل رجل كبير من البدو مع ابنه، وكان هذا الرجل يخدم الصالحين[2].

وأيضا مما ذكره الزهار أن الأتراك قد تجبروا "**واستولوا على ديار الحرمين التي كانت من حق الفقراء وأخرجوهم منها**" **وهذا خلال عهد علي باشا في سنة 1223هـ**" وأن هذا الداي نفى القبطان حميدو إلى الشام لأنه كان يغبطه[3]. وعند ذكره ولاية عمر باشا قال الزهار أن البلاد قد تقهقرت ورجعت للوراء منذ ولاية هذا الظالم، وأن العناية الإلهية فقط حالت دون أخذها من طرف الإنجليز[4].

ومما كان يثير إعجاب الزهار في شخصية الحكام، هو امتثالهم لأوامر الشريعة الإسلامية، مثلما فعل الداي علي، الذي أبطل الزنا والخمر، وفعّل تطبيق الأحكام الشرعية على من وُجد مخمورا أو زانيا، وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة، وكان يطبق عقوبات على التجار الذي يوجَدون في دكاكينهم أثناء أوقات الصلاة[5].

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 76.

2 المصدر نفسه، ص 99.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج:1، المرجع السابق، ص 228.

4 أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 125.

5 المصدر نفسه، ص 136.

وفي مستهل حديثه عن الداي حسين، أثنى الزهار كثيرا على هذه الشخصية، حيث قدّمه في صورة حسنة: "**وكان حسين باشا يشغل منصب وزير ثالث يلقب بخوجة الخيل وقد كان رجلا عاقلا متدينا، وفي البداية كان بعض الوزراء لهم حق التصرف، وكانوا يتحملون المسؤولية في كل ما يقع من فساد أو تعسف**". وقد كان وصف الداي حسين في هذه المقدمة، قد انقلب بعد ذلك لدى الزهار، حيث نجده ينتقد هذا الداي وسياسته بشكل لاذع، ومن ذلك نقمته عليه بسبب سماحه ببناء حارة خاصة بالمومسات، والسماح لجنود الانكشارية بإقامة علاقات خارج إطار الزواج[1]. وليس هذا فحسب فقد حمّل الزهار، الداي حسين مسؤولية فشل المفاوضات مع الفرنسيين بشأن الصلح، ووصفه بالجهل وقصور النظر، وتخبطه خاصة خلال مرحلة الحصار، فقد قدم الأميرال الفرنسي يرجو الصلح مع الداي فالتقيا ووقع الوفاق بينهما حتى استبشر الناس، وفي اليوم الثالث طلب الفرنسيون من الداي أن يعطيهم رجلاً من عنده يحملونه معهم إلى فرنسا حتى يقولوا في كتبهم أننا بعثنا رجلاً من عندنا وبعثوا رجلاً من عندهم، اشتد غضب الداي لذلك وأخذه العجب والكبر، وقال: "**لن أجعل الصلح بيني وبينكم وسافروا حالاً**" فاخبروه بأنهم لا يستطيعون بسبب الريح لكن الداي حسين أمرهم بالسفر خلال ساعتين، ولما انتهت الساعتين أمر الداي وكيل الخرج بضرب السفينة الفرنسية، وقد حزن المسلمون لذلك. وأما السفينة الفرنسية فلما عادت لبلادها كتب الفرنسيون لمحمود الثاني، وأخبروه بما فعله الداي فقال لهم أن يذهبوا إلى الجزائر ويحضروا له ما بها من الأتراك وأن يأخذوا مصاريفهم ويبعثوا له بشيء منها ويتركوا نصيبا لأهل البلد ويجعلوا أحداً من أهلها يقوم بأمرها، وبعدما وصل جواب السلطان شرع الفرنسيون في تعمير عمارتهم وعزموا على السير نحو الجزائر[2]. وقد استمر الزهار في سرد الطريقة السلبية التي تفاعل بها الداي خلال هذه الأحداث، فقد كلّف صهره إبراهيم آغا[3] الذي كان مستهينا بأعدائه، وانتهت المواجهات بينه وبين

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 170.

2 المصدر نفسه، ص 175.

3**إبراهيم آغا:** صهر الداي حسين، تولى قيادة الجيش بعد مقتل يحي آغا الذي عرف بمهاراته وتفانيه في مهمته، لم يكن إبراهيم مثل سابقه، بل كان رجلا مستهترا، فرغم أن خطة الفرنسيين لم تكن مجهولة لديه، إلا أنه لم يستعد جديا للتصدي ورفض اقتراحات كل من حمدان وأحمد باي، الذين سخطوا عليه في مذكراتهم، وحتى أحمد الشريف الزهار في مذكراته كان ناقما عليه. للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)** ط:3، شركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 38.

الجيش الفرنسي بانهزامه وهروبه، وقد ذهب الزهار إلى القول أنه لو شاء الفرنسيون دخول المدينة في تلك الليلة لدخلوها[1].

رغم المسؤولية التي حمّلها الزهار للداي حسين في احتلال البلاد، إلا أنه عاد في ختام حديثه عنه، إلى الإشادة بشخصه، وكيف أنه كان سويّ النفس ولا يتزعزع لعظائم الأمور، ولا يتضعضع لنوائب الدهر، وأنه سيرته كانت حسنة، وشخصيته تتصف بالتقوى وحب الصالحين، إلى درجة اغتراره بأهل البدع[2]. ويمكن تفسير هذا التناقض، بأن الزهار كانت له غيرة على الإسلام وأهل بلده، فلم يستطع أن يستسيغ وقوع الداي حسين في مثل هذه الأخطاء، رغم ما كان يراه من إيجابيات في شخصيته.

وفي الختام يمكن القول، أن أحمد الشريف الزهار، ورغم ما أورده من تفسيرات لأحداث الاحتلال الفرنسي، حيث رآها كحتميّة تاريخية، وأن السبب فيها هو نظام الحكم، ومن ثمّ الداي حسين، إلا أنه أحد المدافعين عن الوجود العثماني في الجزائر، فقد غلّب العقيدة ومصلحة الدين، وما كان يقوم به الأتراك من جهاد ومقاومة للاعتداءات الأوروبية المتتالية على الإيالة، على سلبيات الحكم، من جور ضد السكان، وإهمال للتعليم، وغير ذلك، وقد كان موضوعيا في طرحه، ويمكن إرجاع ذلك إلى الفترة التي كتب فيها مذكراته حيث كانت بعد انقضاء العهد العثماني، ورحيل جلّ الفاعلين في الأحداث إما بفعل الوفاة أو بفعل الهجرة.

1 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 177.

2 ياسين بودريعة، **شخصية الداي حسين بين كتاب المرآة ومذكرات الشريف الزهار (1818-1830م)**، مجلة تاريخ العلوم، ع: 13، مج: 5، جامعة الجلفة، الجزائر، 2020، ص 162.

الفصل الثالث:

موقف أحمد بن سحنون الراشدي من التواجد العثماني في الجزائر –الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني أنموذجا–(1519–1830م)

1– التعريف بالكاتب.

1–1– مولده ونسبه.

1–2– نشأته وتكوينه.

1–3– مؤلفاته وآثاره.

2– التعريف بالكتاب.

2–1– لمحة عن الكتاب.

2–2– دوافع تأليفه.

3– موقف ابن سحنون من الوجود العثماني.

3–1– موقفه في المجال الديني.

3–2– موقفه من الجانب الأمني.

3–3– موقفه في المجال العلمي.

3–4– موقفه في المجال العمراني.

تمهيد:

حظي الباي محمد الكبير، الذي كان على رأس السلطة في بايلك الغرب، بمكانة مميزة في تاريخ الجزائر الحديث، وقد كان إحدى الشخصيات العثمانية التي استطاعت أن تكون الاستثناء في عنايته بالعلم والتعليم، وجلب للحكم العثماني تمجيد ومدح المؤرخين، فقد سخر ابن سحنون الراشدي، مؤلفه الشهير "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لتقييد منجزات الباي محمد الكبير في كافة المجالات، والدفاع عن العثمانيين، فاعتبر بذلك أحد أبرز المؤيدين لهذا الوجود، وهذا ما سنراه من خلال هذا الفصل.

1- التعريف بالكاتب:

1-1- مولده ونسبه:

لم يحدد الباحثون تاريخ ميلاد أحمد بن سحنون، والمتفق عليه أنه من مواليد النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، واسمه الكامل أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي. ينتمي إلى عائلة بني راشد، قد كان لهذه الأسرة تاريخ جهادي، فقد حضر عمّه فتح وهران الأول (1120هـ/ 1708م)، كما أن هذه الأسرة إحدى الأسر العلمية في الغرب الجزائري، فقد اشتهر منها الكثير بالعلم، من بينها والده الذي كان قاضي قضاة معسكر، وكان شيخا لأبي راس الناصري[1].

1-2- نشأته وتكوينه:

نشأ ابن سحنون بمعسكر وتتلمذ علي يدي الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي، متولي المدرسة المحمدية بمعسكر، ولازم زاوية غريس مدة ثلاث سنوات، لما تميزت به هذه المدرسة من العلوم النقلية، ثم رحل إلى معسكر، وهناك درس بالمدرسة المحمدية لمدة سنتين، على يدي شيخها محمد بن عبد الله الجيلالي، وقد أجازه على يدي الشيخين مصطفى بن زرفة الدحاوي والطاهر بن حوا[2].

كان ابن سحنون متأثرا بشيخه الطاهر بن حوا تحديدا، فخلال مشاركته في فتح وهران الثاني (1205هـ) قتل قاضي معسكر، الطاهر بن حوا، برصاصة، وقد كان الباي عندئذ قد عيّن ابن حوا لتوجيه الطلبة، بجانب صديقه محمد بن جلال (الجلالي) لمقارعة العدو، وقد كان لهذا الحادث

---

1 مختار حساني وحليمة بن فاطمة، **مدينة وهران ومقاومتها للغزو الإسباني من خلال الكتابات المحلية- ابن سحنون الراشدي أنموذجا-**، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع 1، مج 17، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2019، ص 287.

2 المرجع نفسه.

أثر كبير في نفس أحمد بن سحنون الشاعر، فقد رثاه بقصيدة قوية، جاء مطلعها كما يلي:

عز نفسك عن صروف الزمان كل شيء على البسيطة فان[1]

وبرغم ما هو معروف عن العلماء الجزائريين، من قلة إجازتهم لبعضهم البعض، فقد أجاز محمد الزجاي ابن سحنون، ففي كتابه "الثغر الجماني"، ذكر هذا الأخير نص الإجازة من أجل تفادي ضياعها، كما قال. وبناءً عليه فإن ابن سحنون قد لازم الزجاي ومجلسه العلمي لعدة أيام وليال، حيث قرأ عليه صحيح البخاري وكبرى السنوسي، وأكثر القرآن الكريم، ومعظم جمع الجوامع للسبكي، وجوهرة الأخضري وسلمه، وحواشي السعد ومتنه وألفية ابن مالك وشروحها، إضافة إلى رسالة الوضع ونخبة ابن حجر[2].

وأيضا ممن أجازوا أحمد ابن سحنون، نجد إجازة شيخه العلامة محمد بن عبد الله الجلالي، حيث يقول فيها بعد مقدمة طويلة: "وإن ولدنا الفقيه النحرير، الحسيب الشهير، "أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون الشريف، تردد علينا عدة ليال وأيام وشرفنا بمجالسه، وسلك معنا في الفنون عدة مسالك من غير اختصاص بألفية ابن مالك حفظ الله نحابته للانتفاع، ووسع صدره للعلم غاية الاتساع، ثم سألني أن أجيزه لتشبيهه أياي بالغير، سالكا في ذلك طريق أهل الفضل والخير. وبعد حديث طويل في وصف أخلاقه، أعقب الشيخ الجلالي كلامه، بالاعتراف بمكانة ابن سحنون العلمية، "...وقد عرض علينا درسا شاملا أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وسمع ما فيه بحضورنا، ودرس القرآن الكريم، وقرأ لنا أيضا أوائل كبرى الشيخ السنوسي، وجلّ جمع الجوامع، وقرأ معظم شرحه لجلال الدين المحلي وجميع جوهرة الأخضري... كما قرأ علينا جميع ألفية ابن مالك، وبحث في أكثر شروحها، وعرض علينا رسالة الوضع ونخبة ابن الحجر بقراءة وتحقيق شامل في الجميع وغير ذلك مما منحناه فيه

1 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830م)**، ط 1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 279.

2 المرجع نفسه، ص ص 41، 42.

إجازة تامة فيه، شاملة وعامة"[1].

نشأ ابن سحنون على مقربة من عائلة الباي محمد الكبير[2]، فقد أورد أنه كان على صلة صداقة بابنه الأمير عثمان، وأنه كان يمازحه قبل تقلّده الحكم، ومن ذلك أن كتب فيه قصيدة، من ضمنها البيت التالي:

عسى الليث عثمان يعذرنه ويجري على خطة الكرم

وقد استعمل ابن سحنون نفس التعبير السابق مع صهر الباي، محمد بن إبراهيم، الذي كان رفيقه، حيث قال فيه مرة أثناء غيابه عنه، ضمن قصيدة طويلة:

حديث شوقي في شرح طول يا جيرة رحلوا والجسم معلول

وقال ممازحا إيّاه:

فلولا جمالك يا زينب لما انجاب من أفقنا غيهب[3]

نشأ ابن سحنون كشاعر، وكان له مكانة أدبية مرموقة، حيث نال تقدير علماء مدينة الجزائر الذين لاحظوا في حديثهم عن كتاب: "الأزهار الشقيقة" أنه كان ما يزال غض العود، وأيضا كان ابن سحنون يؤمن بأهمية التدوين التاريخي، حيث نقل قول ابن خلدون وعتابه لأهل

---

1 نجية عبابو، **التحليل الصوتي للغة الخطاب في شعر المدح ابن سحنون الراشدي نموذجا**، مذكرة الماجستير، تخصص الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2009، ص 9.

2 **الباي محمد الكبير**: هو محمد بن عثمان الكردي، كان قائدا على فليتة، ثم تدرج في المناصب حتى عيّنه الداي عثمان باشا بايا على الإيالة الغربية سنة 1779، قضى على الثورة الدرقاوية، ونظم البلاد ونشر الأمن، وأخضع القبائل المتمردة، توفي في ظروف غامضة سنة 1797. للمزيد ينظر إلى: إسماعيل زيوش، **جوانب من السياسة الدينية للباي محمد الكبير ببايلك الغرب 1779 ـ 1797م**، مجلة دراسات وأبحاث، ع:1، مج: 12، جامعة الجلفة، الجزائر، جانفي 2020، ص ص 380 ـ 384.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج2، المرجع السابق، ص ص 269، 270.

المغرب بسبب إهمالهم تقييد أخبارهم وأنسابهم، معتبرا "آفة الحفظ عدم التقييد" وقد نقل أيضا عن أهل فارس تقييدهم سيرة ملوكهم ودراستها، وهذه الملاحظة تكشف عن قلة تدوين التاريخ في الجزائر العثمانية[1].

في فترة لاحقة، تولى ابن سحنون وظيفة الكتابة للباي محمد الكبير باي الغرب (1193-1211هـ) (1779 - 1796 م) ودرّس طلبة الرباط أثناء محاصرة الباي لوهران (1203 هـ/ 1789م)[2].

1-3- مؤلفاته وآثاره:

نستطيع من خلال الإجازات التي أجيز بها ابن سحنون، أنه أحد أبرز شعراء الجزائر العثمانية، فقد قدم قصائد شعرية طويلة في مختلف الأغراض وشروح مفصلة لقصائد غيره من الشعراء، فمن ذلك شرحه المفصل لقصيدة المنداسي المسمّاة "العقيقة" فقد بدأ شرحه للقصيدة سنة 1200 هـ وسمى هذا الشرح بـ "الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة" وبعد انتهائه من تبيضها بدأ في تخريجها إلى أن وصل إلى نصف العمل ولكن الباي محمد الكبير أوقفه عن شرحها، وطلب منه اختصار كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني، ولكن الظروف بعد ذلك لم تسمح له بالرجوع إلى شرحها، وهذا بسبب انتشار الطاعون في البلاد، فخرج من معسكر وعادي إليها سنة 1202 هـ فشرحها، ولكن بصفة مختصرة في القسم الثاني، وهذا لأن معاصريه من الأدباء واللغويين لاموه على شرحه المطول في القسم الأول[3]. وفي حديثه عن "العقيقة"، أورد الأستاذ سعد الله الفرق بين عمل ابن سحنون وبين يظهر وأبي راس، فقال أن الأول أطال حتى طلب منه المعاصرون له الاختصار، والثاني قد اختص منذ البداية، وأضاف أن شرح ابن سحنون أسبق من شرح أبي راس رغم أنه لا يعرف بالضبط متى انهى أبو راس

1أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج2، المرجع السابق، ص 344.

2 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي ...**، المرجع السابق، ص 440.

3 نجية عبابو، المرجع السابق، ص 11.

شرحه هذا، أو على الأقل متى انتهى من شرحه الأول (شرحه للعقيقة)[1].

وفي شرحه للعقيقة، أورد أحمد بن سحنون ثلاثة تقاريظ أيضا، تعود هذه التقاريظ لعلماء وأدباء من بلاده، يمكن اعتبارها من النماذج الأدبية الجيدة، أولها تقريظ المفتي محمد بن الشاهد، الذي كان من بين الأدباء والشعراء المتميزين في عصره، ووضع تقريضه بشكل رسالة إلى ابن سحنون، بعد مراجعته لعمله (الأزهار الشقيقة). أثنى ابن الشاهد على العمل وبارك براعة صاحبه رغم شبابه، واصفا إياه بعبارة "**الشاب الضريف (كذا)، الناضر روض أدبه الوريف، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الشريف**". ومن هذا التقريظ وغيره، نعلم أن ابن سحنون كان سنة 1202، وهي سنة التأليف والتقريظ في مقتبل عمره، وقد جاء تقريظ المفتي ابن الشاهد في صفحتين وبأسلوب أدبي رفيع.

أما تقريظ المختار بن عمر الصنهاجي الملقب انكروف، الذي كتبه سنة 1202هـ في صفحتين، وصف ابن سحنون بعبارة "الشاب اليافع" وأنه قام بعمل كبير يضمّ الأدب والنقد والبلاغة والتاريخ.

أما التقريظ الثالث الذي، فهو مجهول، وقد أغلب الأستاذ سعد الله الظن، على أنه لأحمد بن عمار لأنه لاحظ أنه يشبه أسلوبه، وهذا التقريظ يتفق مع الأولين من ناحية التاريخ والحجم والثناء على العقيقة ومنظمها وبالمؤلف الذي شرحها برغم عمره الصغير، ولكن هذا المقرظ اختلف عن سابقيه في أنه جمع بين النثر والشعر، وهكذا تكون هذه التقاريض الثلاث نماذج من النثر الأدبي أوائل القرن الثالث عشر[2].

بالإضافة إلى "العقيقة" لابن سحنون أيضا كتاب ضائع في الأدب سماه "عقود المحاسن" ذكره في كتابه الموجود "الثغر الجماني" ولعل "المحاسن" قد جمع بين أدب ابن سحنون

1 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج:2، المرجع السابق، ص 177.
2 المرجع نفسه، ص 184.

ونصوص من أدب غيره[1]، لم تسمح له الظروف بأن يقدمه للباي محمد الكبير.

2- التعريف بالكتاب:

2-1- لمحة عن الكتاب:

يمكن اعتبار كتاب أحمد ابن سحنون "الثغر الجماني" أحد أهم المصادر المحلية القليلة التي تناولت تحرير مدينة وهران الثاني من قبضة الإسبانيين سنة 1791 م/1206هـ، ففي هذا الإطار نجد ثلاثة كتب فقط: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" للمؤرخ محمد أبو راس الناصري، و"الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" لمحمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي، ومؤلذَ "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، والذي يعدّ الأبرز بينها من حيث تفصيل الأحداث، والذي هو في الأصل أرجوزة في وصف تحرير مدينة وهران من يد الإسبان بواسطة الباي محمد الكبير باي الغرب، وقد أتم صاحبه تأليفه في الخامس من شهر رمضان سنة 1208هـ /1793 م[2].

يمكن من خلال الغلاف الخارجي للكتاب، المنشور أول مرة سنة 1973، أن نلاحظ العنوان: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، وأسفلها عبارة: تأليف: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، وأسفلها، عبارة: تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، وأعلى الإطار الذي جاء لونه باللون البني، عبارة منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وأسفلها عبارة سلسلة التراث. ولكن الكتاب أعيد طبعه، عن دار نشر: "عالم المعرفة للنشر والتوزيع"، سنة 2013، بالجزائر.

حظي الكتاب بتقديم طويل للشيخ المهدي البوعبدلي، تعرّض فيه لجوانب من الوجود

---

1 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج:2، المرجع السابق، ص 198.

2 أحمد سلطاني، **فتح وهران ابن سحنون**، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، ع 2، مج 2، جامعة تيارت، الجزائر، 2020، ص 50.

العثماني بالجزائر، على غرار الثورات المحليّة ضد العثمانيين، خاصة ثورة الدرقاوي والصخري، ثم قدّم كتاب الثغر الجماني، وأعطى تلخيصا عاما لما ورد فيه، كما عرّف بصاحبه من خلال تعريف شيوخه وعلاقته بالباي محمد الكبير. والشيخ المهدي البوعبدلي، قام بجهد مشابه لجهد الأستاذ أحمد توفيق المدني مع مذكرات الزهار، فقد حقّق أحد أهمّ المصادر والوثائق التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية. لذلك وجب التعريف به، وبإسهاماته في تاريخ الجزائر العام.

يمكن أن نعرّف الشيخ المهدي البوعبدلي، باعتباره أحد الشخصيات التاريخية البارزة، في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة في مجال التاريخي والفتوى، وهو ينتمي إلى إحدى البيتوتات العريقة الموجودة نواحي الشلف، وقد عاش بين سنتي (1907 - 1992م) مؤرخا ومحققا وفقيها، وكان قد تخرج من الزيتونة، وتقلد عدة مهام علمية على غرار عضويته في المكتب الوطني للدراسات التاريخية، والإمامة بجامع الترك بوهران، ثم بالمسجد العتيق ببجاية[1]، وقد انقسمت جهوده العلمية بين:

1- إلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات التاريخية، وكتابة المقالات المطبوعة والمخطوطة، ومن ذلك:

مقال: الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي.

مقال: الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي.

مقال: دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين[2].

2- المؤلفات: ومنها:

1 حسني بليل، **الشيخ المهدي البوعبدلي (1907 - 1992)**، مجلة عصور الجديدة، ع 3 -4، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 208.

2 حسني بليل، المرجع السابق، ص ص 208 - 225.

كتاب: تاريخ علماء الجزائر في العهد التركي وما قاربه.

كتاب: جوانب من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني"

كتاب: الجزائر في التاريخ "العهد العثماني، بالاشتراك أيضا مع الأستاذ ناصر الدين سعيدوني.

3- تخطيط التراث التاريخي المخطوط، وبالإضافة إلى كتاب "الثغر الجماني" وجدنا كتاب: "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" لمؤلفه محمد بن يوسف الزياني"[1].

يقوم كتاب الثغر الجماني على شرح أرجوزة وضعها ابن سحنون في الفتح الثاني لوهران (1206 هـ/ 1791 م) يدور موضوعها حول الإشادة بفاتحها محمد الكبير، مطلعها:

حمدا لمن أزر نصر الدين ودان ناصريه أسنى الدين

وفتح الأقطار بالجهاد حتى غدت لينة المهاد

وقد بدأ في نظم هذه الأجوزة عندما بلغته أخبار محاصرة وهران من طرف الباي محمد الكبير وهو عائد من الحج، بجزيرة جربة، وأتمها مع فتح وهران[2]، مع شرحها "الثغر الجماني". ونال بهذه الأرجوزة تقدير وتقريض علماء عصره، فاقترح عليه بعضهم تسميتها "**الدر والعسجد في مناقب الباي محمد**" لتكون أقرب إلى مضمون ما تحتويه من فخر وإشادة بالباي محمد الكبير.

بيّن ابن سحنون طريقته في شرح أرجوزته المعروفة بالثغر الجماني مشيرا إلى ما تحتويه من تناقض بقوله: "كنت بدأت فيه ... لحظة الشروع في القصيدة، فما حدث من أمر مما يرتبط بالجهاد إلا نظمته. ولا نظمت شيئا آخر إلا شرحته حتى انتهيت من القصيدة بتمام، تم هو بتمام القصيدة. ومن ثم يوجد في آخره ما ظاهره يعارض ما تقدم في بدايته لأن الأمر يحدث

1 حسني بليل، المرجع السابق، ص ص 208 - 225.

2 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 439.

على حسب ما ذكرت أولا ثم يطرأ ما يبدله، فأثبته غير منبه ولم يحدث ذلك إلا نادرا...".

اتبع ابن سحنون في شرحه لأرجوزته الطريقة التقليدية، حيث قام بشرح كل بيت بما يناسب من البديع. ثم وضّح المعاني والألفاظ قبل أن يسرد الأحداث ويذكر القضايا والطرائف، حتى يكون القارئ على بيّنة من معاني الأرجوزة، وهذا ما أشار إليه يقوله: "**لسان النظم محصور وأن مؤداه لابد فيه من تقصير، والنثر أسد منه بيانا إذ يصير الخبر عيانا وبتذليل النظم به تزداد عبارته وضوحا فعزمت على أن أقوم بشرح تلك القصيدة...**"[1].

وفي تقديمه لكتاب "الثغر الجماني، عدّد الشيخ المهدي بوعبدلي مميزات العمل، حيث قال: "**أنّ أسلوبه الرصين يدل على أنّ الكاتب كان خبيرا في اللغة العربية، عارفًا ومدلّلا لدقائقها، ملتزما بموضوعه لم يحد عنه قط، إلا إذا احتاج الأمر إلى الاستطرادات الخفيفة، وهكذا نستطيع أن نقول بأن "الثغر الجماني" هو أهم ما أُلِّف حول هذا الفتح، وهو سجّل شامل له، وهذا العمل شبيه كثيرا بتآليف ذلك الوقت، الذي كان المؤلفون يخصون التاريخ الجهوي بهذا النوع من النظم (...) ولقد كان لهذا النمط من التاريخ الجهوي فضل عظيم، خاصة الجزء الذي حظي منه الشرح والتعليق، سواء في ذلك المنظوم منه أو المنثور...**"[2].

يمكن تقسيم كتاب الثغر الجماني من حيث المواضيع التي تعرض لها والقضايا التي ذكرها إلى أربعة أقسام وردت متداخلة دون ترتيب لتفيد ابن سحنون بأبيات أرجوزته. ويمكن عرضها كما يلي:

القسم الأول: تناول فيه حياة الحكام الذين سبقوا محمد الكبير، على غرار الباي شعبان والباي مصطفى بوشلاغم وعثمان باي مع ذكر الداي محمد بكداش، وأولى اهتماما بشكل خاص

1 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 440.

2 أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، ط 1، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 70، 71.

بجهودهم المبذولة من أجل استرجاع وهران من الإسبان، عقب ذلك تعرّض لسيرة الباي محمد الكبير، فأورد القصائد التي نظمها فيه كل من أحمد القروسي، ومحمد الطيب المازري، ومرتضى الزبيدي، وأدرج قصيدة نظمها هو في مدح الباي محمد الكبير وفي هذا القسم ذكر ابن سحنون منشآت الباي محمد الكبير مثل مسجده ومدرسته ودار الإمارة بمعسكر. ونوّه باهتمامه بالتعليم وتشجيعه على اقتناء الكتب ونسخها وحثه على التأليف. دون أن يهمل خصاله الأخرى كرفقه بالرعية وتصديه للمتمردين. وبسط سلطته على الأقاليم البعيدة بنواحي الأغواط وعين ماضي وجبال العمور، وهذا ولم يفته في هذا الباب ذكر علاقته بداي الجزائر ومساهمته بفرق من الجند في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الإسبانية (1775م) وصلاته الودية مع حاكمي التيطري وقسنطينة وسلطان المغرب مولاي محمد بن عبد الله وبعض أفراد أسرته العلوية مثل مولاي يزيد[1].

القسم الثاني: خصصه ابن سحنون للتعريف بوهران منذ تأسيسها فذكر فيه علماءها وفي مقدمتهم إبراهيم التازي ومحمد الهواري، ومن حاول فتحها من البايات والباشوات وملوك المغرب الأقصى، وتوسع في فتحها الأول على عهد الداي محمد بكداش (1119 هـ/ 1708م) واسترجاعها من طرف الإسبان بعد ربع قرن في عهد الداي عبدي باشا، فألقى التبعية في ذلك على الباي بوشلاغم الذي قصر في التنسيق مع داي الجزائر، بعدها أفاض في ذكر جهود محمد الكبير من أجل استرجاعها فذكر استعداداته وما أقام من منشآت عسكرية (أبراج، رباطات، فنادق) ومساعيه لأجل تجنيد المتطوعة وتنظيم الجند، وإسناد مهام قيادته إلى أعوانه مثل صهره محمد بن إبراهيم وتبنه عثمان، هذا دون أن يهمل مشاركة العلماء (الفقهاء) في هذا الجهد الحربي، وكان في مقدمتهم محمد بن عبد الله الجلالي، ومحمد بن علي، وأبو طالب المازوني الذي التحق بالرباط رغم كبر سنه رفقة ولديه وبمعية مائتي طالب، فأحيا سنّة السلف الصالح في الجمع بين التدريس والجهاد، كما ذكر قاضي معسكر الطاهر بن حواء الطاهر بن حواء الذي

1 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي...**، المرجع السابق، ص 440.

استشهد أثناء الحصار[1].

القسم الثالث: تعرض ضمنه ابن سحنون، إلى تاريخ مدينة الجزائر ومجيء الإخوة بربروس وجهادهم ضد الأوروبيين وكذلك نجاح خير الدين بربروس في توحيد أقاليم البلاد، ثم يعود للتطرق لأخبار وهران وذكر الباي محمد الكبير وإقرار داي الجزائر حسن باشا له بالاستمرار فيحكمه على بايليك الغرب، وذكر المفاوضات الإسبانية الجزائرية وتوقيع اتفاقية هدنة، ومعالجته لبعض الوقائع كعصيان سماته وموقف الباي محمد الكبير من ذلك، ومن القبائل المتواطئة مع الإسبان، وعن دخوله لوهران بعد تحريرها من الإسبان، وكذلك إرسال مفاتيحها إلى داي الجزائر ليرسلها بدوره للسلطان العثماني[2].

القسم الرابع: خرج فيه ابن سحنون عن الموضوع الرئيسي وهو تاريخ وهران ومآثر حاكمها محمد الكبير إلى مواضيع تتصل بالثقافة العامة والاطلاع الشخصي، مثل الخيل والصيد والفلك والنجوم والأهرام ونيشان الريشة وسيرة صلاح الدين الأيوبي وهولاكو وتيمورلانك. وأصل البربر ودولهم، ومجادلة الإسبان في قضايا دينية مسيحية. ولعل أطرف ما في هذا القسم هو ذكره ابن سحنون عن الثورة الفرنسية التي عاصرها ووصلت إليه أخبارها وقد أشار إلى ذلك بقوله: ولقد قام في هذه السنة ... الفرنج عن جميع علمائهم (قسيسيهم) فنفوهم من البلاد والسبب في ذلك أن ملكهم كثر مصروفه... وتواصل الشنان فيما بينهم وتم الاتفاق على أن لا يطغى أحد على أحد علم ولا غيره وأن الناس كلهم سواسية لا شريف ولا دنيء ومتى ظلم أحد أحداً ينتصرون له جميعاً ... وأبطلوا جمع الضرائب والوظائف السلطانية وأخذوا جميع ما بأيدي علمائهم (القسيسين) من الأحباس والأموال وقاموا بنفيهم من البلاد ... ثم قتلوا ملكهم وقاموا قوة واحدة على من يعاديهم»[3] .

---

1 المرجع نفسه، ص: 441.

2 أحمد سلطاني، المرجع السابق، ص 52.

3 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 442.

مما سبق يتضح لنا أن ابن سحنون أهتم خاصة بالأحداث التاريخية من مصادرها المختلفة فنقل عن سابقيه وسجل شهادات معاصريه وبذلك يكون مؤرخاً ناقلا وكاتباً مقيداً للأحداث التزم بنقل الحقيقة والتقييد بصدق ولم يواري عاطفته الدينية، فأكد على فضل الجهاد الذي ارتبطت به عائلته منذ فتح وهران الأول، واستنكر مظالم الإسبان ضد المسلمين وأظهر فضائل العلم ومساهمة العلماء، كل ذلك في أسلوب أدبي تغلب عليه عبارات السجع الخفيف الذي لا يفسد المعنى وتتخلله قصائد المدح، مما يظهر ابن سحنون أديباً شاعراً متذوقاً ومؤرخاً مدققاً[1].

2-2- دوافع تأليفه:

يوحي العنوان الذي اختاره ابن سحنون لمؤلّفه: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، بأن المقصود هو الفتح وأن سيرة الباي تأتي عرضا، لذلك تجاهل رأي أحد المعاصرين الذي اقترح عليه تسميته "الدر العسجد في مناقب الباي محمد". وقد رأى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن التسمية الثانية أدلّ، إذا عرفنا أن ابن سحنون قد خصّ هذا الباي بمعظم الكتاب وأنه قد مجده وتناول جوانب حياته المختلفة. غير أن اختيار ابن سحنون نفسه للعنوان الأول يدل على أنه كان يولي اهتماما أكبر من سيرة الباي، رغم أنه قال عن عمله "قصدت بذلك تخليد مآثره"، يعني الباي محمد" وتدوين بعض محامده ومفاخره"[2]، وبالتالي نستنتج أن الدافع من وراء تأليف هذا الكتاب، هو تسجيل وتخليد الأعمال الإيجابية التي قام بها الباي محمد الكبير.

1 ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، المرجع السابق، ص 442.

2 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج2، المرجع السابق ص 343.

3- موقف ابن سحنون من الوجود العثماني:

3-1-موقفه في المجال الديني:

يربط الكثير من المؤرخين، تمجيد الجهاد لدى ابن سحنون بجهود الباي محمد الكبير، وهذا الأمر صحيح إلى حدّ ما، فقد كان ابن سحنون من أشهر المؤرخين المدافعين عن العثمانيين والمناقب الجهادية للباي محمد الكبير تحديدا، وفتحه لوهران، ولكن كان أيضا ممن تغنّوا بالأعمال الجهادية لمحمد بكداش باشا فقد أبرز مناقبه الجهادية بقوله: "**هو الإمام العلامة الناظم الثائر مقيم رسم الجهاد ... وهو الذي أخذت وهران في أيامه بأمره على يد أميره السيد مصطفى بيك المشهور بأبي شلاغم .... فكان لا ينفق على الجهاد إلا من خاص ماله دون مستعين إلاّ بخالقه تعالى، وقد أنفق عليه مالا يحصى له عدد ولا تسمح به نفس سواه أبداً**"[1]. وإضافة لذلك قد أعطانا وصفا دقيقا لجهاد الجزائريين في العهد العثماني أورد فيه: "...**إن أهل الجزائر نصرهم الله لم تزل أساطيلهم تغزو في البحر التي ضيقوا على الكفرة عريضه، ومنعوهم سلوكه، وكثيرًا ما غزت الكفرة بلادهم فرجعوا بخفي حنين، وباؤا بخسر وجبن..**"[2].

وفي معرض حديثه عن الباي محمد الكبير، وفتحه الشهير، قال ابن سحنون، "وحبّب إليه الجهاد حتى شمّر له عن ساعد الجد والاجتهاد، فكبت دين الطاغوت ودمّره، ونقى ذلك المحل من حكم الطاغية وطهّره".[3] وقد أشاد بالفتح أيّما إشادة، من ذلك قوله: "ولعمري أن هذا الفتح لما يفخر به لسان الدين، وتمدح بسببه في رياض عقول المهتدين، كيف لا وقد أشرق به جبين ألملة صباح، وهو للكفرة به جانب وقطع منه جناح وظهرت به أنظارنا من أردان الشرك الخبيث... فالواجب على جميع المؤمنين أن يشغلوا ألسنتهم بحمد الله الذي ألهم قلب عبده

1 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 53.

2 المرجع نفسه، ص 61.

3 أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 251.

وأميره لإحياء هذا الموت... وقد قلت لما بلغتنا تلك الأخبار الصادقة قصيدة أظنها رائقة".[1]

وقد خص ابن سحنون الباي بقصيدة، فيها مدح وثناء على ما بذله وجيشه من جهد في تطهير وهران من الإسبان، وكيف أعاد إليها هدى الإسلام، نقتبس منها الأبيات التالية:

أمسى لها دين الهدى عروساً والعلم فيها يقتضي دروسا

بيومسعد عطره أريح عم البلاد نوره البهيج

جند الأمير صادف الأعداء فلم يدع في الأرض منها داء

وحل فيها رتبة الخلافة سليله متبعا أسلافه[2].

وفي أثناء الفتح نظم ابن سحنون أرجوزة أشاد فيها بالباي وبالفتح على يديه، بدأها بقوله:

حمدا لمن أزر نصر الدين ودان ناصريه أسنى الدين

وفتح الأقطار بالجهاد حتى غدت لينة المهاد[3].

3-2- موقفه من الجانب الأمني:

أشاد ابن سحنون بالمجهودات التي كان يبذلها العثمانيون في الجزائر لتوفير الأمن وحفظه: "...**ثم إن دولة الأتراك ألقت بهذا المغرب الأوسط كلكلها فدوّخوا عصاتها، ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن...**"[4].

وفي إطار محاربة الباي محمد الكبير للفساد، ومطاردته لقطاع الطرق، والحفاظ على الأمن العام وزرع الطمأنينة في النفوس، امتدح ابن سحنون هذه السياسة، فيقول عن الباي: "**قد حمى إيالته من الخوف وأذهب من غياضها وغياباتها وشعابها موجبات المتالف، حيث أصبحت**

1 نجية عبابو، المرجع السابق، ص 10.

2 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 59.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج 2، المرجع السابق، ص 342.

4 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 64.

المكان التي تستريح فيه القوافل... وذلك بالنظر إلى محاسبته للمعتدين فهزمهم حتى أصبح عابرو السبيل يجدون راحتهم فيها ... وأضاف ابن سحنون أنه كان الأعشاش وهم قوم في أخريات عمله بينه وبين رعية سلطان المغرب لا تمرّ بهم قافلة إلا استلبوها ولا أوى إليهم شريد إلا قتلوه ... فغزاهم الباي محمد الكبير، وشتت شملهم حتى أصبح لا يسمع لهم صيت، وأيضا ذكر ابن سحنون الحشم المعروفون لا يؤتى من عندهم بالجاني، ولا ينالهم من المخزن أكبر ضر حتى طغوا وكثر فسادهم وقطعهم للطريق، فتولى أمرهم هذا الباي، وبذلك خذلوا واستكانوا، ثم جعلهم من جيشه[1].

وأشاد بجهوده في محاربة الفساد ونوّه بخصاله في قصيدة اخترنا منها هذه الأبيات:

أما ترى الملك قد ضاءت جوانبه وما عتى مذ أتى في الغرب جبار

ذاك الجواد أمير الناس قاطبة محمد خير من قاموا ومن ساروا

لا زال يسطو ويعطي ثم يقطع من يسطو ويردع من عتوا ومن جاروا[2].

وفي إحلاله الأمن في النواحي الجنوبية، يذكر ابن سحنون: "**وما ذلك المحل بأكبر موطن أذاع فيه الأمان، كيف وإنها مسيرة ساعة من زمان، فأين هو من الصحراء العريضة التي جال فيها بسلاحه، وأطلع فيها فرقد سماحه، وهي نار تضطرم في الجوف، وسم خياط من شدة الخوف، فمهدها للسالكين، ووصل منها إلى ما لم يصله أحد من الأمراء الهالكين، فلله أبوه ما أشدّ حزمه، وأصلب في إقامة معالم الدين عزمه**"[3].

وأضاف حول هذا الجانب: "وقد نقى إيالته من المخاوف، وأذهب من غياضها وغياباتها وشعابها موجبات المتالف، حتى صارت مستراحا للقوافل والسفار، يستريحون في رياضها من

1 محمد شاطو، المرجع السابق، ، ص 66.

2 المرجع نفسه، ص 67.

3 أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 251.

أعباء الأسفار، فإنهم يأتون من المشرق والمغرب يسابقون الطير بالسير، وقلوبهم بالغة حناجرهم من شدة الخوف والضير، فإذا بلغوها اطمأنوا وأمنوا، وقروا وسكنوا..."[1].

3-3- موقفه في المجال العلمي:

يعتبر الباي محمد الكبير، من أبرز رجال السلطة العثمانية عناية بالعلم والعلماء، وهذا باتفاق الكثير من المؤرخين والكتّاب الجزائريين، الذين نجد من بينهم ابن سحنون فقد امتدح هذا الباي في محبته للعلم بما يلي: "ولمحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ، ويستكثر منها وينتسخ مالم تسمح نفس مالكه ببيعه وكثيراً ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه"[2].

كما امتدح ابن سحنون في "الثغر الجماني"، الباي محمد الكبير، وعنايته بالعلم أثناء فتح وهران، فقد أمر العلماء والطلبة بقراءة صحيح البخاري عند الحملة[3]. وقد أضاف أن الطلبة أثناء جهادهم كانوا مشتغلون بقراءة القرآن والفقه والنحو لا يتركون إلا في أوقات القتال، وبالليل يتلون القرآن ولا يفترون عنه إلا نحو الساعتين من أوقات النوم، فكانوا كما قيل في السلف الصالح، "رهبانا بالليل أسودًا بالنهار"، وأنهم في هذه الحالة لو قصدوا الجبال لزلزلت لهم.

وقد كتب فيهم الأبيات التالية:

وانحجر الكفار في الأسوار إذ صار أهل العلم كالأطيار

مثل البُزاة وقفت بمرقب تراقب الصيد بكل مذهب

فما رأت سانحا أو يريحا إلا غدا قتيلا أو جريحا

---

1 أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 144.

2 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 69.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج 2، المرجع السابق، ص 26.

حتى غدا الطود على النصارى خوفا، وأمنا للهداة صاروا[1].

وقد كان لابن سحنون، موقف إيجابي من الاهتمام الذي كان يوليه الباي محمد الكبير للجانب الأدبي والشعري، وكيف أنه كان له شعراء يمدحونه ويتغنون بمنجزاته، وهذا أمر صحيح، فقد كان ابن سحنون أول الشعراء المتغنين به، وقد قال فيه وفي ابنه عثمان أكثر من قصيدة، وابن سحنون أحد من الشعراء المعروفين والبارزين في عهده، رغم حداثة سنه في ذلك الوقت، وكان الباي قد حظي بقصائده حتى قبل فتحه لوهران، فله فيه قصيدة عند توليه الحكم، وأخرى في مناقبه الجهادية وسيرته قبل الفتح، وأثنى عليه حين أكرم ضيفه يزيد بن سلطان المغرب في ذلك الوقت، في قصيدة طويلة جيدة النسج والموضوع، وكعادته بدأها بالغزل:

حنانيك ماذا الصد ماذا التجانب وقلبي من شوقي لوجهك ذائب

وفيها يقول:

وإن كان ذنبي في هواك محبتي فما أنا من ذنبي مدى الدهر تائب

ثم تخلص من الغزل إلى مدح الباي بما يناسب المقام، ويجعله في مقدمة الملوك الكرام. وابن سحنون مولع بالغزل في مطالع قصائده، فقد مدح عثمان بن محمد الكبير (وكان صديقا له) بقصيدة أيضا بدأها بهذا الطالع:

ألم المحبة للحشاشة موجع والصبر للصب المروع مرجع

لولا التصبر والتبصر في الهوى لرأيت سلوى في الأسى يتروع[2]

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن ابن سحنون وإذ كان مزهوا بما أحدثه الباي محمد الكبير في مجال العلم وتشجيعه للعلماء والأدباء والشعراء، إلا أن ذلك لم يمنعه من تسجيل مآخذ على

1 أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 249.

2 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج 2، المرجع السابق، ص 259.

مستوى الشعر والأدب في تلك الأيام، وطغيان الشعر العامي على الشعر الفصيح، حيث أن الألسنة غلبت عليها الألفاظ العجمية، وفرغ منها سر الحكمة، فأصبح الناس إنما يميلون للملحون، وبه يتم الهجاء والمدح، ولهم في ذلك فنون رقيقة ومعاني رشيقة، وقد أثنوا عليه(الباي محمد الكبير) بما لا يمكن حصره، وهذا أمر خارج عن غرض الأديب، ولا يغني روض البلاغة الجديب، وعلى قلة المعرب في هذا العصر، فقد قيل فيه منه ما لا يأتي عليه الحصر، غير أن منه الفقهي الذي لا يثبت إما لتكسر مبانيه، أو لاحتلال معانيه، ومنه ما بلغ الغاية، وصار في لطافته ورقته آية، وهو أيضا كثير، غير أني لم أقف على أكثر جمانه النثير، وإنما أثبت هنا ما وقفت عليه من الجيد الأثير"، ومن خلال هذا نستنتج أن ابن سحنون يفضل الشعر الفصيح الجيد على الملحون لعلاقة الأول بالبلاغة والأدب، ولكن ما حيلته والعصر عصر عجمة وشعر عامي وشعر فقهي لا له بالذوق والخيال والفن[1].

ولم يقتصر اهتمام الباي محمد الكبير بالشعر والأدب، حيث أشاد ابن سحنون بعنايته بالطب وأنه كان يشجع العلماء على التأليف فيه واختصار المطولات منه، فيقول عنه إنه كانت للباي في الطب اليد الطولى، وإنه كان يصف للناس الدواء ويدفع لهم ما حضر منه، حتى أن المساكين كانوا يفزعون إليه كما يفزعون إلى طبيب ماهر[2].

ومن ضمن عنايته بالعلم، أشاد ابن سحنون بتتبع الباي محمد الكبير في معسكر، أوقاف مدرستي تلمسان "التي استولت عليها الأيدي ونسي الناس أنها أوقاف وأعاد للمدرستين الأراضي التابعة لهما".[3] وفي المجال الصوفي امتدح ابن سحنون تقرّب العثمانيين إلى المرابطين بشتى الوسائل كبناء المشاهد والزوايا والوقف عليه. وقد عرف عن الباي محمد الكبير أنه اعتنى ببناء

1 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج 2، المرجع السابق، ص 242، 243.
2 المرجع نفسه، ص 419.
3 المرجع نفسه، ج 1، ص 229.

مشهد الولي محمد بن عودة والولي أحمد بن يوسف[1].

وقد كانت من أكثر أعمال الباي إشادة لدى ابن سحنون، هي إقراره لراتب للعلماء، يأخذونها من الأوقاف، بعد أن كانوا لا يأخذون من البايلك أي شيء، وقد أضاف: "..فاتسعت بذلك حال العلماء، وانشرحت الصدور للقراءة، وشرهت النفوس، وكثر طلب العلم، وتشوّق كل أحدللتدريس، واشتد الحرض على العلم من بعد أن كاد يُترك اشتغالا بالتجارة لقلّة جدواه، فكان ثواب ذلك كلّه في ميزانه من جملة إحسانه تقبّله الله محمودا مشكورا، وخلّده في ديوان الفضائل مذكورا"[2].

وفي إطار عنايته بالمساجد، نوّه ابن سحنون مشيداً بالترتيبات التي وضعها محمد الكبير للمسجد الكبير بمعسكر، والتي تبرز جهوده كواحد من الحكام العثمانيين في ميدان العلم والثقافة فيقول: وكلّف له خطيباً (يقصد المسجد) وإمامًا وأربعة مدرّسين أحدهم للتفسير والحديث، والثلاثة لغيرهما، وجعل لكل بيت في المدرسة ما يكفي لشراء الزيت في كل شهر، ولمقدم الطلبة راتبا معلوما، ولمن يصحح ألواحهم كذلك، وكذا لمن يقرءون الحزب داخل المسجد صباحًا ومساءً، ولمن يروي للناس حديث اللغو يوم يقرأ لهم تنبيه الأنام وغير ذلك، وكتب إثبات الجميع في حجر مثبتة في جدرانه، فكان كل ذلك له من الأثر العظيم المثبت في عقد حسناته النظيم[3].

3-4-موقفه في المجال العمراني:

أشاد الكثير من الشعراء بما بناه محمد الكبير من الجامع الكبير بمعسكر إلى المدرسة المحمدية الملحقة به، إلى المحكمة، بل أشادوا بداره الخاصة ووصفوها وصفا حيا، وقد كان ابن سحنون في طليعة هؤلاء، فقد كان يتتبع آثار الباي ويمدحها بقصائده الجميلة. فقد مدح دار سكنى الباي ووصفها، ووصف الجامع الكبير الذي بناه في معسكر والمدرسة التابعة له، وقال

1أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج 1، المرجع السابق ، ص 469.
2أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 143.
3 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 72.

في ذلك:

انظر رعاك إله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر

متوج بالبها بالحسن مشتملبالظرف مؤتزرُ باللطف مشتهر

سماحة مزجت بالأصل وامتزجت بالعلو ولسفر والأركان والجدر

إن حله المرء حل الأنس مهجته وصار في الحين للأذكار ذا بطر.[1]

وقد أضاف منشداً شعراً في الدار التي بناها محمد الكبير بضواحي معسكر واصفاً إياه بالليث الذي يسكنها، ويرسم أوصافها بجميع مرافقها وبساتينها، وفي ذلك مديح للباي الذي كان مولوعاً بالعمران فيقول:

أهذه هالة للبدر أم دار ضاءت عليها من الأكوان أنوار

وألبستها يمين الصانعين حلى كأنها في سماء الحسن أقمار

أنظر لها وهي في البستان واقفة وحولها فيه أشجار وأزهار

أكرم به منزل رقت محاسنه كأنما عنده للهم أسرار

لو خير البدر في دار يكون بها ما غيره كان ذاك البدر يختار

فوق جميع ديار الأرض دارته بساكن حلها كالليث زائر

الجود منها نشى والحلم فيها نشى والخير منها مسلسل وخرخار[2]

وكذلك مدح ابن سحنون منجزات الباي، حين شرع في إصلاح مساجد الجمعة، حيث زاد

1 أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 138.

2 محمد شاطو، المرجع السابق، ص 75.

في جامع السوق صفين، وهدّم الجامع العتيق وأعاد بناءه ووسعه، وأدخل إليه الماء، وجعل له خمس ميضات للوضوء، وأبدل منبره[1].

ومن الأعمال التي لاقت استحسان ابن سحنون، هي بناء مشهد الولي الصالح محمد بن عودة، الذي كان ذا كرامات، حيث قال واصفا البناء: "بناءٌ عجيب زيد به الضريح بهاءً"، كما بنى أيضا مشهد الولي أحمد بن يوسف دفين مليانة، وأشاد ابن سحنون أيضا ببناءه القناطر والسور بمعسكر، إدخاله الماء للمدينة الجديدة، ولقرية الوليّ علي بن محمد، وقد كان السكان في عناء بسبب بُعد الماء، كما بنى الباي فندقا بالسوق القديم، وزاده في أحباس الجامع الأكبر، وذكر بأن له في تلمسان ومستغانم والجزائر، مبانٍ كثيرة، وآثار شهيدة بين مساجد ومشاهد ومدارس، بل أيضا في القرى الخالية، والطرق المقفرة، كما أنه جدّد بتلمسان المدرستين القديمتين[2].

ومن جهة أخرى كان التجهيز الحربي للعثمانيين، والباي محمد الكبير تحديدا، يحظى بإشادة ابن سحنون، فقد امتدح جدّية هذا الأخير في جمع الآلات المعدّة للحصار، وإرساله الرسل إلى الإنجليز لشراء البارود والرصاص، وكان يشجع على التجار إليه ليشتري منهم ما يأتي في هذا النطاق، وكيف أنه كان ملتزما بكراء السفن من عنده، وأيضا اتصاله بملك المغرب، حيث أرسل إليه كاتبه أحمد بن هطال[3]، ليشتري ما يجد من سلاح، وقد عاد إليه بمائتي قنطار وخمسين من البارود، وكان قبل ذلك قد وصله سفن من النصارى تحمل آلات حربية، فاشتراها جميعها،

---

1 أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 135.

2 المصدر نفسه، ص 141.

3 **أحمد ابن هطال التلمساني:** من علماء الجزائر في أواخر العهد العثماني، تولى منصب رئيس الكتّاب في بلاط الباي محمد الكبير، هذا الأخير كلّفه بتقييد تفاصيل رحلته أو حملته العسكرية على جنوب الغرب الجزائري، لعب دورا في تحرير وهران من الإسبان، إذ كلّفه الداي بالقيام بمساعي دبلوماسية تمثلت في السفر إلى المغرب الأقصى من أجل جلب السلاح والذخيرة الحربية، قتل ابن هطال على يد الدرقاويين في معركة فرطاسة سنة 1803. ينظر إلى: بن عتو بلبراوات، **اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري**، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3 – 4، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2012، ص 116.

وبعث إلى نواحي زواوة من أتاه بكثير من البارود، وكان يخرج بنفسه رفقة جنده وأعوانه للغابة من أجل قطع الخشب الضخم، من شجر البلوط، المستعمل في إصلاح المدافع ونحوها، وجمع من الجزائر وتلمسان ومستغانم النجارين والخرّاطين والحدادين، وصنّاع البارود[1]. ولما فرغ الباي من جميع الآلات المدفعية، بعث جلّ عمّاله وقادته، يحثون الناس على إصلاح الطرق، وتسهيل ما كان وعرا منها، وتكسير ما كان حجرا، وقطع ما فيها من الشجر حتى تُجرّ المدافع بكل سهولة، وإحداث طريق في الجبل، وكان هذا الإجراء الأخير قد فاجأ النصارى وأدهشهم[2].

وفي ختام هذا الفصل، نخلص إلى القول، أن ابن سحنون أحد أبرز المدافعين عن الوجود العثماني في الجزائر، فقد كان معجبا وبشدّة بشخصية الباي محمد الكبير، ومن ورائه السلطة العثمانية، وقد سخّر مؤلّفه "الثغر الجماني" لسرد منجزات الباي في الجهاد والبناء والتعمير، وكذلك تشجيعه للعلم والعلماء، وإحلاله للأمن في بايلك الغرب، بعد انتشار اللصوصية وقطاع الطرق، ولا يخفى أن الصلة التي جمعت الباي بابن سحنون كان لها دور بارز في هذا تسجيل هذا الموقف، ولكننا لا نستطيع أن نقول أن التمجيد الذي نستشفه في كل صفحات الكتاب، كان في غير محلّه، فالباي محمد الكبير قد حظي بإشادة المؤرخين المعاصر له واللاحقين، خاصة لدوره في تشجيع العلم والعلماء، بعدما عُرف عن العثمانيين انصرافهم عن خدمة المجال الثقافي، والأبرز من ذلك دوره في فتح وهران، فقد كان تحرير المدينة من الإسبان، أحد أبرز الأحداث في تاريخ الجزائر الحديث ككل.

1 أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 255.

2 المصدر نفسه، ص ص 255، 256.

خاتمة

في ختام هذه المذكرة وبعد دراسة معمقة خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات أوجزها فيما يلي:

– أن الواقع الذي عاشته الجزائر في مطلع القرن 16م جعلها عرضة للعدوان الإسباني خاصة بعد التحولات التي شهدتها إسبانيا بعد الوحدة وسعيا منها للقضاء على الوجود الإسلامي في شمال إفريقيا وساعدها على ذلك مجموعة من العوامل خاصة الدينية وما شهدته المنطقة من تفكك وتردي للأوضاع .

– إن انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1519م ساعد في توحيد المنطقة تحت لواء كيان سياسي موحد, جاء بعد استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس ما ساعد على حماية وتحرير السواحل الجزائرية من الإسبان وتنظيميها وفق نظم الدول الحديثة.

–إن الخطر الصليبي وعجز الأهالي عن صده ورفع راية الجهاد من قبل الدولة العثمانية في حوض المتوسط كان كفيلا بقبول الوجود العثماني في الجزائر

–اجتمعت الظروف والأسباب (الرابط الديني, الجهاد, دعم العثمانيين للبحرية الجزائرية, تغير موازيين القوى, احتدام الصراعات الداخلية والكتابات التاريخية) التي ساهمت في بروز العديد من المصادر المحلية بين رافض ومؤيد في محاولة منها لكتابة التاريخ وسرد الأحداث حيت اختلفت وجهات النظر بين السلطة الروحية والزعامات المحلية حول حقيقة الوجود العثماني في الجزائر في قضية الجهاد وتصديهم للغزو الصليبي وتنظيمهم لأمور الدولة مما جعل مواقف المصادر المحلية بارزة بين التأييد والرفض .

–الاختلاف بين زعماء الإمارات المحلية والسكان والسلطة الروحية بين القبول والرفض للوجود العثماني بالجزائر .

–مقاومة الزعامات المحلية للعثمانيين كان خوفا على مصالحهم لدرجة التحالف مع العدو

وساعدتهم للدخول إلى الجزائر .

-أشادت المصادر المحلية في كتاباتها للتاريخ العثماني في الجزائر بمراحله بالدور المهم الذي لعبه الأتراك العثمانيون في بناء الجزائر وتنظيميها سياسيا وإداريا وعسكريا وحتى اجتماعيا وبالرغم من هذا انتقدت السياسة العثمانية خاصة فيما يتعلق بالمناصب وتهميش بعض الفئات والنظام الضريبي الذي أسنته .

-الإشادة والتأييد للوجود العثماني من بعض المصادر المحلية يظهر من خلال دراستنا لمصادر محلية كنماذج خاصة .

*نقيب الأشراف أحمد الشريف الزهار .

* الراشدي بن سحنون .

-أن الزهار ربطته علاقة جد حسنة مع العثمانيين من خلال مواقفه الداعمة لهم خاصة مساهمة العثمانيين في الجهاد تعمير الجزائر وقضايا الصلح .

-إن الصلة الوطيدة بأسرة الزهار مع قادة البايلك ورجال الديوان ساعدته في تولي رئاسة نقابة الأشراف فكان ملما بأمور الدين والعلم والسياسة والرحلات فإن كتاباته تعتبر من أهم الوثائق في دراسة التاريخ العثماني ما ساعده على تسجيل ما إنها إليه .

-بالعودة إلى محتوى الكتاب فهذه المذكرات مجزئة إلى أجزاء كل منها يتناول دايا أو باشا ذكر فيها أعمالهم وبطولاتهم فبدأ ب: علي باشا بوصباع وانتهى إلى ولاية حسين باشا الذي انتهى معه الحكم العثماني بالجزائر .

-ساهمت الظروف الصعبة لحياة الزهار وهجراته إلى حواضر علمية كتونس وفاس وملازمته للعلماء والمشايخ في بناء شخصية الزهار حيث حظي بمكانة مرموقة فلازم بذلك الأمير عبد القادر وتولى كتابة أسراره .

-إن تمسك الحاج بدينه جعل من الجهاد معيارا له وهذا ما أدى إلى تأييده المطلق للعثمانيين فقيم سياسة الدايات من خلال مواجهتهم للغزو الصليبي وأشاد ببسالتهم .

-امتدح الكاتب العثمانيين من خلال منجزاتهم العمرانية في تشييدهم للبروج وإعادة بنائهم للمساجد وحفر الأبار وإعادة تعمير البلاد بعد زلزال القليعة وبنائهم لديار والمخازن .

-استحسن الزهار مساعي السلطة إلى الصلح في قضية هدنة الأمريكان مبرزا هيبته ودرايته بأعمال السياسة .

-أشاد النقيب بحنكة الدايات والبايات السياسية فامتدح الكثير منهم كمحمد باشا ....

والتزامهم بأحكام الشريعة الإسلامية في قضايا العدل والمساواة .

-إن كتاب ابن سحنون الراشدي "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" من المصادر المحلية البارزة في وصف مواجهة العثمانيين للعدوان الإسباني والثورات المحلية ضد العثمانيين.

- الثغر الجماني أرجوزة وضعها الكاتب بعد محاصرة وهران وفتحها .

-يمكن الحكم على الكتاب بأنه من أهم ما ألف في التاريخ الجهوي لاختصاصه بمدينة وهران .

-تناول فيه الكاتب خمسة أقسام: الحكام السابقين لمحمد الكبير, وهران بصفة عامة, تاريخ مدينة الجزائر وقدوم الأخوين بربروس، الإشادة بمحمد الكبير .

-جمع بن سحنون بين الأحداث فكتب عن السابقين فكان ناقلا ومقيدا للأخبار ناهيك عن انحداره من عائلة مجاهدة بأسلوب أدبي كشاعر ومؤرخ معتمدا أسلوب المدح.

- إن الراشدي من أشهر الداعمين للعثمانيين خاصة فيما يتعلق بالمواقف الجهادية للباي محمد الكبير وفتحه وهران وكذا محمد بكداش .

–مجد الراشدي جهود السلطة في الجزائر بتوفير الأمن وحفظه خاصة محمد الكبير بزرع الطمأنينة في نفوس الأهالي والقضاء على الفساد .

– أشاد بمساعي الباي في دعمه للعلم والعلماء (قراءة صحيح البخاري, القران, الفقه, الشعر والأدب).

– أما عن البناء والتعمير فمدح بن سحنون ما قام به الباي في هذا المجال وتجهيزه للجيش.

وفي الأخير لا يسعني إلى أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف مراح الهادي الذي لم يدخر جهدا في مساندتي وتقديم الدعم لي من خلال توجيهاته القيمة من أجل إعداد هذه المذكرة كما أتقدم بشكر لكل من ساندني في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد وأسأل الله عز وجل التوفيق والسداد .

الملاحق

الملحق الأول: الرسالة التي أرسلها سكان الجزائر إلى السلطاني العثماني سليم الأول في عام 1519، يعرضون فيه رغبتهم في انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية.

رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة

إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية. دعاء يبلغها أقصى الأماني، فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين. وإن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. وإن سعادة أيامكم هي قوتنا. ونحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرين وعليكم لا محالة اعتمادنا. فقد أطعنا أمركم، وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم، يرفعون إليه غاية الإجلال والتقدير وليس لهم قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة، ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير أنه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة وسط الدائرة. وبقينا كذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب. ولكن تمسكنا بحبل الله المتين، واتكلنا عليه. غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمته. وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا وخفوا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق تصالحنا مع أهل التثليث، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس. وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة.

آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله أوروج باي مع ثلة من الغزاة. فقابلناه بالعز والإكرام واستقبلناه لأننا كنا في خوف من عدونا فخلصنا بفضل الله. وأرورج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار(واتصل) بالمسلمين. فلما وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن القاضي زلزلوا أركانها وهدموا بنيانها وشاهد الكفار عندما دخل المسلمون القلعة، وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم.

لقد حارب المسلمون الكفار آناء الليل وأطراف النهار، من طلوع الشمس إلى غروبها. وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة أروج القتال بقي المشال إليه يقاتل الكافر مع جماعة قليلة. وكان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان.

وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله، أبو التقى خير الدين.وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف واتباع الشرع النبوي الشريف. على أن محبتنا له خالصة، ونحن معه ثابتون. كيف لا نحبه وهو المشمر على ساعد الجدّ والإقدام.

ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين

كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أن عرفاء البلد المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل ونحن على غاية الضعف والبلاء.

لهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية. وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق في خدمة مقامكم العالي. وأن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من حوادث والسلام.

أوائل ذي القعدة 925هـ

المرجع:

دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 – 1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2012، ص ص 395 – 397.

الملحق الثاني: واجهة مذكرات أحمد الشريف الزهار.

الملحق الثالث: واجهة كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد ابن سحنون الراشدي.

منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

سلسلة التراث

1

الثغر الجماني

في

ابتسام الثغر الوهراني

تأليف

أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي

تحقيق وتقديم

المهدي البوعبدلي

الملحق الرابع: صورة المسجد الكبير بمدينة الجزائر.

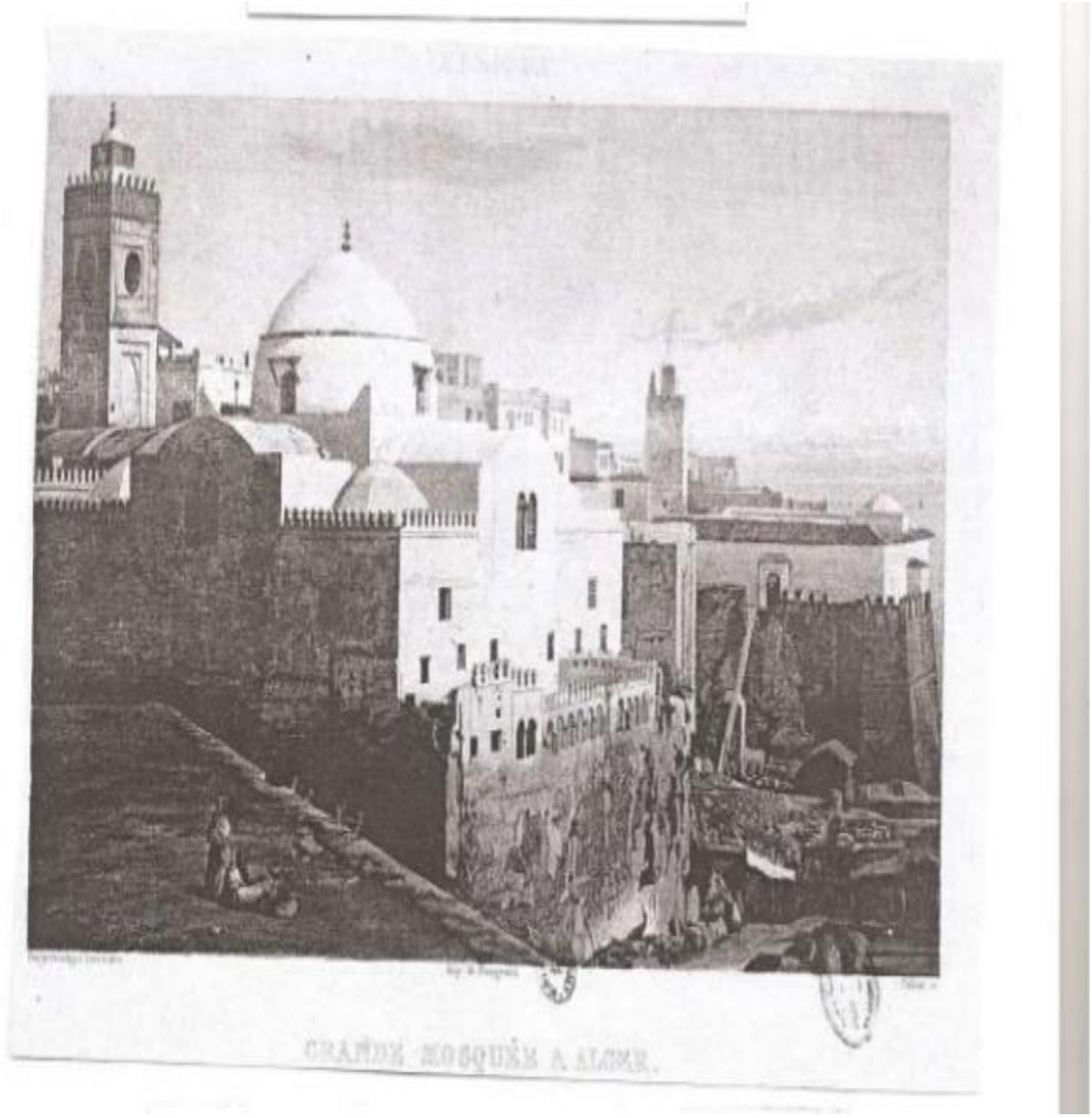

المرجع: منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10-13 هـ/ 16 - 19م) بين التأثير والتأثر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2014 ـ 2015، ص 156.

الملحق الخامس: مدرسة القصبة.

المرجع: منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 165.

الملحق السادس: مسجد الباي محمد الكبير.

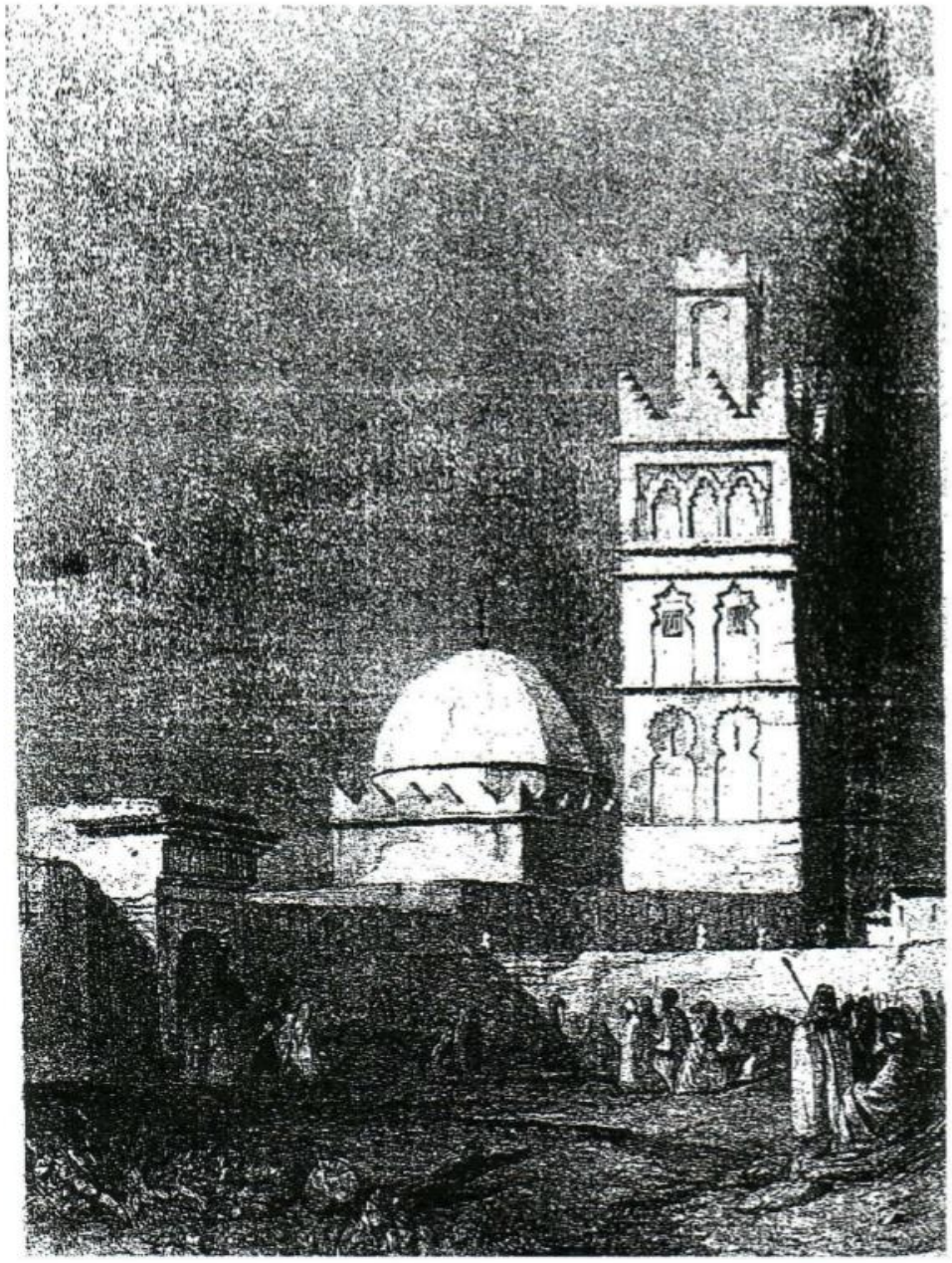

المرجع: عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2013 – 2014، ص 178.

المصادر والمراجع

أ/ المصادر:

القرآن الكريم

1 – باللغة العربية:

1. بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، دار طليطلة، الجزائر، 2015.

2. الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج: 2، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906.

3. خوجة حمدان، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

4. الراشدي أحمد بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2013.

5. الزهار أحمد الشريف، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر)**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

6. شالر وليام، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 ـ 1824م)**، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

7. الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة محد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983.

2 ـ باللغة الأجنبية:

1. Muhammad ibn Muhammad Al-Tilimsani,**Chroniques de la régence d'Alger traduites d'un manuscrit arabe intitulé El-Zohrat-el-nayerat**, traduction

Alphonse Rousseau, imprimerie du gouvernement, Alger, 1841.

المراجع:

1. بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيطة)**، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 2009.

2. دراج محمد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512– 1543)**، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2012.

3. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998.

4. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)**، ج:2، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998.

5. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)**، ج: 4، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998.

6. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**، ج: 7، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

7. سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)** ط:3، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

8. سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

9. سعيدوني ناصر الدين، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

10. سعيدوني ناصر الدين، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (الفترة الحديثة)**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2004.

11. سعيدوني ناصر الدين، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، بيروت، 1999.

12. سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2009.

13. السليماني أحمد، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993.

14. شاطو محمد، **نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023.

15. صاريجك مراد، **نقابة الأشراف في الدولة العثمانية**، ترجمة: سهيل صابان، دار القاهرة، ط: 1، القاهرة، 2007.

16. عبد القادر نور الدين، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ـ من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ـ**، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

17. العربي إسماعيل، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط: 2، الجزائر، 1982.

18. فارس محمد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، المكتبة الجامعية المركزية، ط 1، الجزائر، 1969.

19. قنان جمال، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 – 1830)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.

20. مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشير السباعي ج 2، ط 1، دار الفكر

للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

21. هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2008.

الرسائل الجامعية:

1. بلغيث عبد القادر، **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، قسم التاريخ التركي والعثماني، جامعة وهران، 2013 ـ 2014.

2. تومي طاهر، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، 2014 – 2015.

3. درقاوي منصور، **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10– 13 هـ/ 16 – 19م) بين التأثير والتأثر**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014 – 2015.

4. عبابو نجية، **التحليل الصوتي للغة الخطاب في شعر المدح ابن سحنون الراشدي نموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف ـ، 2009.

5. مرتاض عبد الحكيم، **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (924– 1246هـ/ 1518 – 1830م) تأثيراتها الثقافية والسياسية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2015 – 2016م.

المقالات:

1. بعارسية صباح، **دور المرابطين في أحداث القرن10 هـ / 16 م في الجزائر**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ع 31، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017.

2. بلبراوات بن عتو، **اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري**، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3-4، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مارس 2012.

3. بليل حسني، **الشيخ المهدي البوعبدلي (1907 - 1992)**، مجلة عصور الجديدة، ع 3 -4، جامعة وهران، الجزائر، 2012.

4. بودريعة ياسين، **شخصية الداي حسين بين كتاب المرآة ومذكرات الشريف الزهار (1818-1830م)**، مجلة تاريخ العلوم، ع: 13، مج: 5، جامعة الجلفة، الجزائر، 2020.

5. البوعبدلي المهدي، **أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، مجلة الأصالة، ع8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972.

6. بونقاب مختار، **انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري 1802 - 1816**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع التاريخ، ع 3، جامعة معسكر، الجزائر، 2008.

7. حساني مختار وبن فاطمة حليمة، **مدينة وهران ومقاومتها للغزو الإسباني من خلال الكتابات المحلية - ابن سحنون الراشدي أنموذجا-**، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع 1، مج 17، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019.

8. دراج محمد، **تأسيس إيالة الجزائر**، مجلة عصور، مج 9، ع 1، جامعة وهران1، الجزائر، 2010.

9. دوبالي خديجة، **الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية (911-917 هـ/ 1505-1511م)**، مجلة القرطاس، ع 6، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017.

10. زيوش اسماعيل، **جوانب من السياسة الدينية للباي محمد الكبير ببايلك الغرب 1779 - 1797**، مجلة دراسات وأبحاث، ع: 1، مج: 12، جامعة الجلفة، الجزائر، جانفي 2020.

11. سباك رشيدة، **الرايس حميدو (1770-1815م) وإنجازاته العسكرية**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع: 1، مج: 4، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2022.

12. سلطاني أحمد، **فتح وهران ابن سحنون**، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، ع2، مج 2، جامعة تيارت، الجزائر، 2020.

13. شريف أوغلو متين، **أبعاد وخلفيات الدخول العثماني إلى الجزائر في بداية القرن 16م على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (دراسة أرشيفية تحليلية)**، مجلة الدراسات الشرقية، ع 41، مصر، 2022.

14. شويتام أرزقي، **طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 - 1830م)**، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد: 04، ع 01، جامعة بجاية، الجزائر، 2022.

15. صديقي بلقاسم ودحماني توفيق، **الزعامات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي نموذجا)**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 22، ع 1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2022.

16. مكاس مليكة، **قلعة بني عباس (إمارة المقرانيين) 1500/ 1600م دراسة تاريخية**، مجلة عصور، ع 26 - 27، جامعة وهران، الجزائر، جويلية - ديسمبر 2015.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة.....	أ – ح
الفصل الأول: واقع الجزائر قبيل التواجد العثماني	
1- أوضاع الجزائر قبيل الوجود العثماني.....	**9**
1-1- الأوضاع السياسية والعسكرية.....	9
1-2- الأوضاع الاقتصادية.....	10
1-3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية.	11
2- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.....	**13**
2-1- الدوافع والأسباب.....	13
2-2- إلحاق الجزائر بالباب العالي.....	17
2-3- الجزائر إيالة عثمانية.....	20
3- موقف الجزائريين من الوجود العثماني بالجزائر.....	**23**
3-1- موقف السكان.....	23
3-2- موقف الزعامات المحلية. (سالم التومي، أحمد بن القاضي).....	23
3-3- مواقف مختلفة.....	25
أ- العلماء.....	25

ب- المرابطين.....	25
ج- الطرق الصوفية.....	26
الفصل الثاني: موقف أحمد الشريف الزهار من التواجد العثماني في الجزائر – مذكرات أحمد الشريف الزهار أنموذجا - (1519-1830م)	
1- التعريف بالكاتب.....	**30**
1-1- مولده ونسبه.....	30
1-2- نشأته وتكوينه.....	31
1-3- مؤلفاته وآثاره.....	33
2- التعريف بالكتاب (مذكرات نقيب الأشراف).....	**35**
2-1- لمحة عامة عن الكتاب.....	35
2-2- دوافع تأليفه.....	37
3- موقفه من الوجود العثماني بالجزائر.....	**40**
3-1- موقفه من الجهاد.....	40
3-2- موقفه في المجال العمراني.....	45
3-3- موقفه من الصلح.....	47
3-4- موقفه من بعض القضايا السياسية.....	49
الفصل الثالث: موقف أحمد بن سحنون الراشدي من التواجد العثماني في الجزائر – الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني أنموذجا- (1519-1830م)	
1- التعريف بالكاتب.....	**55**
1-1- مولده ونسبه.....	55

1-2- نشأته وتكوينه.....	55
1-3- مؤلفاته وآثاره.....	58
2- التعريف بالكتاب.....	**60**
2-1- لمحة عن الكتاب.....	66
2-2- دوافع تأليفه.....	67
3- موقف ابن سحنون من الوجود العثماني.....	**67**
3-1-موقفه في المجال الديني.....	68
3-2-موقفه من الجانب الأمني.....	70
3-3-موقفه في المجال العلمي.....	73
3-4- موقفه في المجال العمراني.....	73
خاتمة.....	78
الملاحق.....	83
قائمة المراجع.....	91
فهرس المحتويات.....	98

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم التاريخ

إذن بإيداع مذكرة التخرج بعد التصحيح

نحن الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة عن المذكرة :

الأستاذ المشرف (ة): ...مراح هادي.....

الأستاذ المناقش (ة) : ...بوتوقو ياسين حفيظ.....

الأستاذ الرئيس (ة) : ...عطاء الله عبد الرزاق.....

نأذن بإيداع مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعد تصحيحها

بعنوان:...موقف الجزائريين من التواجد العثماني من خلال الرحالة العياشي الرحلة الشرقية الوهابيون والسنوسيون أنموذجا.....

والتي أعدها الطالب :...عماري سارة.....

والطالب:.....

المسجل بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ميدان : ...تاريخ.....

تخصص : ...تاريخ الجزائر الحديث 1519 - 1830م.....

الموسم الجامعي : ...2023 - 2024م.....

إمضاء رئيس اللجنة | إمضاء المناقش | إمضاء المشرف

البويرة في :2024/07/08.

Site : www.univ-bouira.dz e-mail : info@univ-bouira.dz Tel : 026.93.98.15 Fax : 026.93.09.24